# أسباب ظاهرة الإساءة للإسلام في أوروبا منذ ثمانينات القرن الماضي: دراسة تاريخية استقرائية

**د. أحمد إبراهيم عيسى**
دكتوراه العقيدة وأصول الدين
كلية العقيدة والمذاهب المعاصرة
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
الولايات المتحدة الأمريكية

# الملخص

يلقي البحث الضوء على مدى شيوع النظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا، وظهور الإساءة إلى الإسلام والمسلمين والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم. كما يستقرأ الأسباب الممكنة التي أدت إلى ذلك في الماضي والحاضر، باستخدام المنهجين التاريخي والاستقرائي. الإشكالية هي في تحديد المحددات التاريخية والاجتماعية والدينية المفسرة لأسباب ظاهرة الإساءة للإسلام في أوروبا. ويهدف البحث إلى بيان تاريخ الإساءة للإسلام قديما وحديثا، واستجلاء الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا. توصل البحث إلى وجود عوامل متعددة ومتداخلة شاركت لتكوين النظرة السطحية والمتخيل الاجتماعي المشوّه عن الإسلام في أوروبا. من أهم هذه العوامل الجهل بالإسلام والتثقيف الخاطئ الشائع والمنهجي حول الإسلام، والذي يعد أصلًا رئيسًا لوجهات النظر السلبية وكراهية الإسلام، وبالتالي ظاهرة إهانة الإسلام. ومن الأسباب المهمة تشويه الإعلام للإسلام، والعنصرية التي يشعل فتيلها الجماعات اليمينية المتطرفة. هناك أيضًا أسباب دينية وسياسية وثقافية، بالإضافة إلى تلك التي يتسبّب بها قلة من المسلمين المقيمين في أوروبا.



**الكلمات المفتاحية:** أوروبا – الإساءة للإسلام – المتخيل الاجتماعي – الأسباب

**Abstract**

This paper sheds light on the prevalence of negative views on Islam in Europe, and the emergence of insults to Islam, Muslims, the Prophet Muhammad (peace be upon him), and the Holy Quran. Using historical and inductive methods, it explores the possible causes, past and present, for such prevalence. The research problem is to identify the historical, social and religious determinants that explain the causes of the phenomenon of insulting Islam in Europe. The research aims to explain the history of abuse of Islam, past and present, and to clarify the possible causes of abuse and the negative view of Islam in Europe. It concluded that there are multiple, interrelated factors involved in shaping the superficial view and the misrepresented social imaginary of Islam in Europe. Among the most important factors are the lack knowledge about Islam and the common, systematic miseducation about Islam, which is a key root of negative views and Islamophobia, and in turn, the phenomenon of insulting Islam. Other important reason is the media distortion of Islam, and racism fuelled by far-right groups. There also religious and political-cultural reasons, as well as those caused by some Muslims residing in Europe.

**Keywords:** Europe – Insult on Islam - social imaginary – causes

## المقدمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله، أما بعد، فهناك نظرة سطحية شائعة ومتخيل اجتماعي مشوّه عن الإسلام في أوروبا يتجاهل الجوانب الحضارية والإنسانية في الإسلام؛ فقد أوضح استطلاع سنة ٢٠١٠، أن الصورة التي يحملها أغلب الأوروبيين عن المجتمعات الإسلامية سلبية إلى حد كبير حيث أظهر أن ثلاثة أرباع من غير المسلمين المستطلعين لديهم نظرة سلبية للإسلام، وأفكارهم هي حول قمع المرأة والتطرف والإرهاب.(١) مع العلم بأن أربعة أخماس من شملهم الاستطلاع قالوا إن لديهم أقل من القليل جدا من المعرفة عن الإسلام!

وفي عام ٢٠١٩ وجد أن هناك تباينا واسعا عبر أوروبا في المواقف تجاه المسلمين. وتنتشر المواقف الأكثر سلبية في جنوب ووسط وشرق أوروبا. فلدى الأغلبية في سلوفاكيا وبولندا وجمهورية التشيك والمجر وليتوانيا واليونان وإيطاليا وجهات نظر سلبية عن المسلمين، وأيضا في أوروبا الغربية من الداعمين للأحزاب الشعبوية المناهضة للمسلمين والهجرة في السويد وألمانيا وفرنسا وهولندا وإسبانيا وبريطانيا. ومن المرجح أن يكون لدى أولئك الذين لديهم تعليم أقل، أو كبار السن مواقف سلبية شائعة تجاه المسلمين.(٢)

ومع المستجدات المتلاحقة في قضايا علاقة الأديان، وارتفاع أسهم القوميات والعنصريات، قامت أوروبا كموقع جغرافي وهوية سياسية، في إحلال نفسها بديلا عن "الأمة المسيحية" إبان الحروب الصليبية، كرد فعل لتقدم الإسلام من حدود أوروبا الآن.(٣) فالمهاجرون "الجدد" لأوروبا ينظر إليهم كلهم بصرف النظر عن مكانتهم في المجتمع بعين الريبة والاتهام. مثال ذلك ما قاله الناشط النرويجي المتعصب ميردال "إن المسلمين المهاجرين وطالبي اللجوء السياسي هم عناصر فيما أسماه جيش الفتح الإسلامي، وهؤلاء قد جاءوا كي

**(1) Haroon Siddique, "Three-quarters of non-Muslims have negative view of Islam," *The Guardian*, 2 August 2010.**

(2) Pew Research Center, European public opinion three decades after the fall of communism, Minority groups, 14 October 2019. https://www.pewresearch.org/global/2019/10/14/minority-groups/

**(3) Timothy Ash, 'Europe at War', *The New York Review* (20 December 2001): 66–68.**

يقيموا الجسور للإسلام في النرويج كجزء من المؤامرة الإسلامية الشيطانية –حسب قوله– لإقامة حكم إسلامي عالمي".[١]

أما الإساءة لمسلمي أوروبا عامة فهي قائمة على قدم وساق، رغم ادّعاء أوروبا أنها تحمل مشعل الحرية والمساواة، خاصة لمن يقيم فيها. فوكالة الحقوق الأساسية في الاتحاد الأوروبي، في تقرير لها عام ٢٠١٧، أظهرت النتائج فيه، أن غالبية المسلمين من الجيل الأول والثاني الذين شملهم الاستطلاع في ١٥ دولة من أعضاء الاتحاد الأوروبي يعانون من التمييز، خاصة عند البحث عن عمل، كما يستمر العنف الجسدي بدافع الكراهية والتحرش. كانت المضايقات بسبب الخلفية العرقية أو المهاجرة شائعة لواحد من كل أربعة مشاركين مسلمين. من هؤلاء، تعرض ما يقرب من نصفهم لستة حوادث أو أكثر خلال العام السابق عن التقرير. وأدت الرموز الدينية المرئية، مثل الملابس التقليدية أو الدينية إلى تعرض واحد من كل ثلاثة مشاركين مسلمين للتمييز أو المضايقة أو توقيف الشرطة. كانت المعدلات أقل بالنسبة لأولئك الذين لم يرتدوا الملابس التقليدية أو الدينية.[٢]

فهل السبب في أزمات اليوم، هو تداعيات الأمس؟ فلقد شهدت أوروبا في الماضي، وهي ترتدي ثوب النصرانية المحرّفة –كما وثّقت ذلك كارين أرمسترونج[٣]، ثم محمد عمارة[٤]، وعدنان سيلاجيتش[٥]– سلسلة من الإساءات للرسول صلى الله عليه وسلم.

**(1) Tore Bjorgo, 'Extreme Nationalism and Violent Discourses in Scandinavia', in Bjorgo (ed), *Terror from the Far Right* (London: Frank Cass, 1995), 191**.

( 2 ) European Union Agency for Fundamental Rights, 2017, "Second European Union Minorities and Discrimination Survey Muslims – Selected findings" (Luxembourg: Publications Office of the European Union, 2017), 9.

(٣) أرمسترونج، كارين، **سيرة النبي محمد**، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، (القاهرة: شركة سطور، ط٢، ١٩٩٨)، ص ٣٤-٤٢.

(٤) عمارة، محمد، **الإسلام والغرب، افتراءات لها تاريخ– دراسة حول الإساءة الغربية الأخيرة للإسلام**، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ٢٠٠٦).

(٥) سيلاجيتش، عدنان، **مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام**، ترجمة: جمال الدين سيد محمد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط ١، ٢٠١٦).

فهل كانت "جريمة" الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، و"جريمة" حرق نسخ من المصحف الشريف، امتدادا لتلك السلسلة؛ التي رسمتها في مخيلتهم ثقافتهم الغربية، وتراثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أن هناك أسبابا أخرى؟

**أهمية البحث**

للموضوع أهميته للتعرف عن أسباب النظرة المسيئة والسلبية عن الإسلام في أوروبا. فإن أول خطوات علاج تلك الظاهرة هو دراسة أسبابها المتوقعة من أكثر من زاوية. ومع انتشار الإسلاموفوبيا في أوروبا، وتقدم الحركات العنصرية، أصبح هناك مناخ فاسد يولّد الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وخرجت إساءات لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، كما حدث بالرسوم الساخرة المسيئة في الدنمارك وفرنسا. وتعمد بعض السفهاء مؤخرا الإساءة بإحراق نسخ من المصحف الشريف علنا، كما حدث أمام السفارة التركية في عاصمة السويد. فكان من الأهمية بمكان معرفة أسباب ذلك، خاصة أنني مقيم في بريطانيا، وأعيش القضية وآثارها عن قرب.

**إشكالية البحث**

تتكرر حوادث الإساءة إلى الإسلام والمسلمين في أوروبا، حتى صارة ظاهرة. لكن الإشكالية هي النظرة السطحية للوصول إلى السبب الحقيقي وراء هذه الظاهرة؛ هل هو الإرث التاريخي، أم أن أصابع الاتهام تشير إلى قلة من المتطرفين من الجانبين؟ أم إننا في حاجة لدراسة الأمر من كل جوانبه لندرك جل الأسباب؟ إن الإشكالية هي في تحديد المحددات التاريخية والاجتماعية والدينية المفسرة لأسباب ظاهرة الإساءة للإسلام في أوروبا.

**أسئلة البحث**

هل النظرة المسيئة والسلبية عن الإسلام في أوروبا هي نتيجة الجهل بالإسلام وما يدعو إليه من عقائد صافية، وأخلاق فاضلة؟ أم نتيجة تشويه الإعلام للإسلام، والعنصرية التي يشعل فتيلها الجماعات اليمينية المتطرفة؟ وهل هناك أسباب دينية وسياسية وثقافية لذلك؟

فالسؤال الرئيس هو: ما أسباب النظرة المسيئة والسلبية عن الإسلام في أوروبا؟ ويتفرع من ذلك أسئلة:

- ما تاريخ الإساءة للإسلام قديما وحديثا؟
- ما الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا؟

**أهداف البحث**

- بيان تاريخ الإساءة للإسلام قديما وحديثا
- استجلاء الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا

**مصطلحات البحث**

ارتكز عنوان البحث على مصطلحين وهما "ظاهرة" و"إساءة" وهذا تعريف لكل منهما:

**مصطلح الظاهرة:**

لغويا: (ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة.[١]

و(الظاهرة) من الأرض وغيرها المشرفة، والأمر ينجم بين الناس؛ يقال حديثا: بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة.[٢]

وإجرائيا: فقد استخدمت بالمعاني المذكورة سابقا، أي أن ظاهرة الإساءة للإسلام في أوروبا أضحت أمرا واضحا مكشوفا بارزا، بقوة وعموم.

(١) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩)، ج٣، ص٧٤١.

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (دار الدعوة)، ج٢، ص٥٧٨.

**مصطلح الإساءة:**

فلغويا من (سوأ): ساءَهُ يَسُوءُه سَوْءًا وسُوءًا وسَواءً وسَواءَةً وسَوايةً وسَوائِيَةً ومَساءَةً ومَسايةً ومَساءً ومَسَائِيَةً: فَعَلَ بِهِ مَا يَكْرَهُ، نَقِيضُ سَرَّه.(١) ويُقَال أَساءَ بِهِ، وأَساءَ إِليه، وأَساءَ عَلَيْهِ، وأَساءَ لَهُ (ضِدٌّ أَحْسنَ)، معنى واستعمالاً.(٢)

وقد ذكر المبرد مصدرا آخر (إساءة) وهو المستخدم إجرائيا في هذا البحث، فقال: "الُمسيءُ: مَنْ فَعل السَيِّءَ، وقَدْ أَسَاءَ يُسيءُ إِسَاءَةً فهو مُسِيءٌ".(٣)

تؤدي هذه الإساءة إلى الأذى والإهانة وجرح المشاعر. ويدل عليه ما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: " أساء إليه: ألحق به أذىً أو ضررًا أو إهانةً، سبَّب له عدم الرِّضا، وخدش مشاعرَه".(٤)

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (٢: سورة الممتحنة)، أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال، وودوا لو تكفرون أي ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة.(٥) وعمل اللسان الذي يؤذي يشمل الشتم والإهانة والتهكم والسخرية.

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج١/ ٩٥.

(٢) الزَّبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس** (الكويت: دار الهداية، د.ت)، ج١، ص٢٧٤.

(٣) ابن المبرد، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، (جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١)، ج٢، ص٣٠٧.

(٤) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨)، ج٢، ص١١٢٧.

(٥) ابن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩)، ج٨، ص٨٦.

**الدراسات السابقة**

على حد علمي لم يسبق تناول هذا الموضوع بهذه الكيفية، فالجديد في هذا الدراسة أنها تحاول البحث تفصيليا في مسألة أسباب ظاهرة النظرة المسيئة والسلبية عن الإسلام في أوروبا. سأذكر بعض الدراسات السابقة -بالترتيب الزمني من الأقدم فالأحدث- والتي تبحث في زاوية أو أخرى من زوايا بحثي.

من هذه الدراسات السابقة، **دراسة القوصي عن "سر العداء الغربي للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم"**[(١)]، ولكنها دراسة جل سردها ينطبق على أمريكا وليس أوروبا. الجيد فيها أنها عددت بعض بواعث الذين يسيئون فهم الإسلام؛ فمنهم طلاَّب المعرفة الجاهلون بلغة القرآن وشرائع الإسلام. ومنهم أناس يتعاملون مع الإسلام بالكراهية وروح الانتقام ذاتها التي ينظرون بها إلى أديانهم ومذاهبهم. ومنهم المنصرون الذين ينحرفون عن الصواب اضطراراً واختياراً بباعث من التعصب للصنعة والحرفة. ومن الواضح أن تلك الدراسة ركزت على "الفاعلين" من الجاهلين والمبغضين والمنصرين، وليس على "الأسباب" التي تسعي هذه الورقة الحالية لسبر أغوارها.

يوجد تساؤل مطروح، له دلالة على أصل الأسباب الدينية للإساءة للإسلام في أوروبا: هل أوروبا نصرانية أم عَلمانية (لادينية)؟ فقد وجدت الأطروحة التالية مثيرة للاهتمام، حيث تطرح أن أوروبا علمانية ومسيحية في آن واحد. وإن كانت لا تدل على نظرية يمكن تعميمها بالنظر إلى أن البحث كان في أربع دول فقط، وأنها كانت مرتبطة بقضية الهجرة وهي قضية حساسة يؤثر في الحكم عليها مؤثرات أخرى غير دينية: **إنغريد ستورم، "المسيحية العلمانية كهوية وطنية: الدين والجنسية والمواقف من الهجرة في أوروبا الغربية،" أطروحة دكتوراه، جامعة مانشستر، ٢٠١١.**[(٢)]

(١) القوصي، محمد عبد الشافي، "سر العداء الغربي للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم"، **مجلة البيان**، العدد ٢٨٣، ١ فبراير (٢٠١١): ٨٦-٨٩.

(2) Storm, Ingrid. "*Secular Christianity as National Identity: Religion, Nationality and Attitudes to Immigration in Western Europe*" (PhD, University of Manchester, 2011).

في الخطاب السياسي والشعبي حول الهجرة والاندماج، يشار إلى أوروبا على أنها علمانية بشكل رئيس، ومسيحية في الأساس، اعتمادًا على السياق. حتى لو كانت أقلية فقط من السكان في العديد من دول أوروبا الغربية تمارس دينها فعليًا، فإن الكثيرين يستمرون في التعرف على المسيحية باعتبارها تقليدًا ثقافيًا، دون المعتقدات والممارسات التي يرتبط بها المرء عادة بهوية دينية. باستخدام مجموعة من المقابلات النوعية في بريطانيا وهولندا والدنمارك وأيرلندا، تستكشف هذه الأطروحة كيف يرتبط الانتماء الديني والمعتقد والممارسة بالمواقف المناهضة للهجرة وفيما يتعلق بالمسيحية كعنصر مهم للجنسية. النتيجة الرئيسة هي أن الهوية المسيحية عامة مرتبطة برؤية الهجرة كتهديد للهوية الوطنية، في حين أن الذهاب إلى الكنيسة بعمومه يرتبط بعدم مناهضة الهجرة.

يمكن شرح هذه النتيجة بأن كلمة "مسيحي" تشير إلى التراث الثقافي القومي أو العرق الأبيض بدلاً من الإيمان. ومن ثم فإن أولئك الذين يعتبرون مسيحيين، رغم فضفاضية وضبابية واتساع الكلمة، هم في المتوسط أكثر عرضة لأن يكونوا قوميين أو كارهين للأجانب. كما أنه نظرًا لأن رواد الكنيسة سيكونون أكثر تعاطفًا مع الدين بشكل عام، فإنهم يميلون أيضًا إلى أن يكونوا أقل سلبية تجاه المسلمين والأقليات الدينية الأخرى. في ورقتي سأحاول أن أستقصي ما نُشر عن نظرة الأوروبيين العامة للمسلمين في بلدانهم.

ولكن هناك أطروحة أخرى توصلت لنتيجة مغايرة، وهي أن التدين المسيحي المتعنت له موقف سلبي تجاه المسلمين: **بشار البغلي، "التدين والتحيز في السياق الغربي والإسلامي،" أطروحة دكتوراه، جامعة سانت أندروز، ٢٠١٧.**[1]

وجدت تلك الأطروحة، من خلال الاستبيانات، أنه في المناخ السياسي والاجتماعي الحالي، ينظر الغربيون في الغالب إلى الإسلام والمسلمين على أنهم شيء واحد، بدلاً من إظهار الفروق بين الإسلام كدين والمسلمين كمجموعة دينية. تنبأت المعتقدات المسيحية

(1) Albaghli, Bashar. *"Religiosity and prejudice in a Western and Islamic context"* (PhD, University of St Andrews, 2017).

الصلبة بمواقف سلبية تجاه المسلمين، بينما أظهرت المعتقدات الرمزية مواقف إيجابية. هذه النتيجة حاسمة في جعل الناس يفهمون علاقة التناقض بين الدين والتحيز. وكشفت النتائج في هذه الدراسة أن التدين الإسلامي و"الأصولية" الإسلامية تنبئان بشكل كبير بالمواقف المتحيزة السلبية تجاه المسيحيين واليهود والغرب.

والحقيقة أن تلك الأطروحة حصلت على نتائج استبيانات من مسلمي الخليج، والشرق الأوسط، وآسيا، بالإضافة إلى مسلمين من أوروبا. أما المسيحيون فكانوا من بريطانيا وأمريكا. وبالتالي فهي تعبر جزئيا عن القضية التي تطرحها ورقتي حيث يؤدي التحيز الديني للإساءة.

وهناك دراسة أخرى **لمعيمش عن "صورة الإسلام في المخيال المسيحي: نحو تجاوز مدونات المؤسسة الكنسية الكلاسيكية"**، وهو بحث تاريخي قيم. وهو يؤكد على أن شروط الحوار الموضوعي لم تنضج بعد رغم بعض التطورات الإيجابية إثر قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، "وأن المؤلفين والمدوّنين المسيحيين على امتداد التاريخ، مرّوا فيما يتعلق بتناول الإسلام والمسلمين بطريق طويل من التجاهل والعجرفة الكنسية المنغلقة، ورغم جنوح مجموعة صغيرة للمفهوم الإسلامي، فقد ظلت كل هذه الجماعات والدوائر تنظر إلى الإسلام بعين الهرطقة أو البدعة الكبرى". [(١)] وكما يدل عنوان البحث فهو عن صورة الإسلام في المخيال المسيحي المؤسسي فقط، وهي جزء واحد من الورقة الحالية.

ومن الدراسات السابقة عن العنصرية وكراهية الإسلام، خاصة في بريطانيا، اطلعت على الأطروحة: **فيدجين بيرتمان، "الإسلاموفوبيا عن طريق "تويتر"،" دكتوراه، جامعة أكسفورد، ٢٠١٩.** [(٢)]

(١) معيمش، عز الدين، "صورة الإسلام في المخيال المسيحي: نحو تجاوز مدونات المؤسسة الكنسية الكلاسيكية،" **مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان**، مجلد ٧، عدد١ (٢٠١٨): ٦٣-١٠٤.

(2) Bertram, Vidgen. "*Tweeting Islamophobia*" (PhD, University of Oxford, ٢٠١٩).

أوضحت أن الوعد الكبير لمنصات التواصل الاجتماعي مثل Twitter هو ربط الأشخاص المنفصلين عبر الزمان والمكان. كان لهذا عواقب بعيدة المدى على السياسة من خلال تغيير الممارسات الخطابية والتشاركية والتنظيمية. فتتزايد المخاوف من أنها تتيح سلوكيات ضارة وبغيضة ومثيرة للانقسام. ركزت تلك الأطروحة على أحد أكثر السلوكيات المقلقة والأكثر ضررًا باستخدام تويتر، وهو خطاب الكراهية المعادية للإسلام. فالعواقب الاجتماعية والسياسية لهذا الخطاب تشمل إلحاق الأذى بالضحايا المستهدفين، ونشر الانقسام، وتطبيع الأفكار الخطيرة والمتطرفة. تمت دراسة خطاب الكراهية بين أتباع الأحزاب السياسية (المحافظين، العمل، الحزب الوطني البريطاني، حزب الاستقلال). ووصفت التغريدات المعادية للإسلام بين أتباع هذه الأحزاب بأنها نظام رياح يحتوي على أعاصير معادية للإسلام.

تلك الدراسة كانت محدودة بالتويتر، وأتباع الأحزاب، فلا تعبر بشكل كامل عن حجم المشكلة. ولا شك أن هذه المساهمات تغذي المناقشات الأكاديمية وصانعي السياسات والنشطاء حول خطاب الكراهية المعادي للإسلام في كل من وسائل التواصل الاجتماعي وسياسة الأحزاب.

**ما يضيفه البحث**

١- توضيح البعد التاريخي للإساءة للإسلام في أوروبا

٢- تحليل الأسباب المختلفة لهذه الإساءة في أوروبا بشكل شامل

**حدود البحث**

**مكانيا:** اخترت "أوروبا" وليس "الغرب" للتقيد بأوروبا ككتلة جغرافية ذات مزاج متقارب اجتماعي وسياسي وديني، تجاه الإسلام كدين ومنهج حياة. أما الغرب فتختلف تعريفاته؛ وهو من المفاهيم والمصطلحات الملتبسة. فهل هو مفهوم جغرافي يدخل فيه دولًا أخرى مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلاند واليابان؟ أم أن له دلالاتٍ سياسيةً

وثقافية ودينية؟ لذا فقد اخترت أوروبا من باب الوضوح في البحث العلمي، والمرجعية التاريخية.

**زمانيا:** اخترت حدود البحث تاريخيا منذ ثمانينات القرن العشرين، حيث صدر كتاب سلمان رشدي "آيات شيطانية" سنة ١٩٨٨ في لندن، وكان الكتاب في رأيي، بما فيه من إساءة فجة للإسلام وللنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بمثابة بداية تاريخية لظاهرة الإساءة. ثم خرج التقرير الأول عام ١٩٩٧ عن "الإسلاموفوبيا" وهو الخوف أو الكراهية أو التحامل ضد الدين الإسلامي أو المسلمين بشكل عام. وزادت جرائم الكراهية ضد المسلمين في مرحلة ما بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وتم رسم قوالب نمطية ضارة بصورة المسلمين على نطاق واسع، تحت دعوى مكافحة الإرهاب والدعوة إلى التجديد الديني. غير أن الأبعاد السياسية والدينية لمصطلح "الإسلاموفوبيا" بدأت تتجلى منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي، بعد ظهور "الصحوة الإسلامية" أو "الإسلام السياسي" في العالمين العربي والإسلامي، وخاصة بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، والحرب "الجهادية" في أفغانستان ضد الاحتلال السوفيتي الذي بدأ في نفس السنة، واستمر عشر سنوات، ثم اغتيال السادات عام ١٩٨١، وتزايد الاهتمام في الغرب بدراسة الصعود السياسي للتيارات الأصولية، ونتائج ذلك.

**أدوات البحث**

قمت بتنظيم وترتيب الورقة وهوامشها ومراجعها وفقا لما جاء في دليل مجلة "مجمع". وبالنسبة للاستدلال من المراجع، فكلها باختصار وتصرف، إلا إذا كانت بين علامتي التنصيص " "، فتدل على الأخذ بالنص. ولم أشأ استخدام كلمة "ينظر" كثيرا ليُقرأ المرجع مباشرة، ولوجود مراجع أجنبية كثيرة. وقد قمت بترجمة المراجع الإنجليزية بنفسي حيث أجيد الإنجليزية لإقامتي وعملي في إنجلترا. هناك جدول واحد آثرت أن أبقيه مع سياقه، وليس في آخر البحث. بالنسبة للآيات القرآنية المباركة فهي بالرسم العثماني، وقد وضعت اسم السورة ورقم الآية بعدها مباشرة في المتن. بالنسبة لمواقع النت فلم أذكر تاريخ زيارة الموقع إذا كان

هناك تاريخ نشر المادة. البحث شمل طريقين؛ أحدهما الطريق المكتبي بمتابعة وملاحظة للأخبار، وبالقراءة للكتب والرسائل الجامعية والأبحاث المحكمة (باللغتين الإنجليزية والعربية) التي تمس الموضوع، والطريق الآخر بالفحص والتحليل والتفكير، واستخراج ما أتوقعه من أسباب لظاهرة الإساءة للإسلام في أوروبا مع توثيق الأدلة، وخلصت إلى بعض النتائج والتوصيات.

بالنسبة لأبحاث الجامعية الأجنبية فقد اطلعت عليها من خلال موقع المكتبة البريطانية المتخصص:

British Library EThOS (e-theses online service): https://ethos.bl.uk

**منهج البحث**

لقد وظفت الدراسة المنهجين التاريخي والاستقرائي.

المنهج التاريخي: استعملته لتبيان المسار التطوري لظاهرة الإساءة للإسلام ورموزه.

المنهج الاستقرائي: لأنه يتمثل في التفكير الذي يستند إلى الحقائق فيبدأ بملاحظة ظاهرة الإساءة، وتؤدي الملاحظة إلى وضع الفرضيات للأسباب. ويشمل المنهج مرحلتين؛ الأولى لتقصي ظاهرة معينة وفحصها، والثانية لوصف تلك الظاهرة وتفسيرها، والانتقال من المظاهر الخارجية للظاهرة محل الدراسة إلى مظاهرها الداخلية، وايجاد العلاقة بين السبب والمسبب، لينتهي إلى تقرير الحقيقة العامة التي تحكم تلك الظاهرة.[1]

**خطة البحث**

**المبحث الأول: الإساءة للإسلام قديما وحديثا**

المطلب الأول: التصورات الأوروبية لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني: الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث

**المبحث الثاني: الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا**

(١) مجموعة مؤلفين من جامعات الجزائر، **منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية**، (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط١، ٢٠١٩)، ص١٢١.

المطلب الأول: الجهل بالإسلام

المطلب الثاني: أسباب دينية مسيحية

المطلب الثالث: دور الإعلام والإنترنت

المطلب الرابع: منظمات اليمين المتطرف المتعصبة

المطلب الخامس: أسباب ذاتية من مسلمي أوروبا

المطلب السادس: أسباب سياسية ثقافية

**النتائج والتوصيات والمراجع**

## المبحث الأول: الإساءة للإسلام قديما وحديثا

في سنة ١٠٩٥ ميلادية، خطب البابا أوربانوس الثاني[١]، محرضا للحملة الصليبية الأولى، ولزيادة عدد الحملات في العقود التالية، خطبة مسيئة محرضة فاضت بالافتراءات. صوّر البابا مدينة القدس على أنها تحت تهديد عرق "شرير". وصوّر المسلمين كعبدة للأوثان، وأنهم يدنسون المقدّسات المسيحية، ويعذبون المسيحيين.[٢] وأسقط الصليبيون القدس في سنة ١٠٩٩م، وبدا عندها أنهم لا يعتبرون المسلمين بشرا، وقاموا عن عمد بارتكاب مذبحة مروعة لسكان المدينة داخل الأسوار، يقدر عدد الضحايا فيها بخمس وسبعين ألفا، حسب دائرة المعارف التاريخية، ولقد صدمت المجزرة مشاعر الجميع حتى من معاصري الصليبيين.[٣]

ولقد رسم الاستشراق القديم صورة عن الإسلام عملت على تأكيد الصورة الفجة القديمة التي رسمها أرباب الكنائس، والتي أظهرت الإسلام كدين للخرافة والجهل والوثنية، وأن أتباعه همج أعداء للحضارة. ويستثنى من ذلك قلة من المستشرقين المنصفين مثل المستشرقة الألمانية شيمل[٤]، التي استاءت من الاتهامات ضد النبي صلى الله عليه وسلم، مثل أساطير

---

(١) البابا أوربانوس الثاني (١٠٣٥-١٠٩٩) رئيس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. عزز البابوية ككيان سياسي، وأطلق الحروب الصليبية. وفي مجمع كليرمونت بفرنسا، سنة ١٠٩٥، دعا لبدء الحملة الصليبية الأولى، ووعد جميع المشاركين بالحرب بتقديم الغفران الإلهي عن خطاياهم. ثم كتب العديد من المناشدات وشَرع في جولات لتجنيد المحاربين، حيث تم تطعيم روايته بحكايات كاذبة أو مبالغ فيها عن تدنيس الآثار المسيحية، واضطهاد المسيحيين وتعذيبهم دون محاسبة.

Becker, A. "Urban II." Encyclopedia Britannica, July 25, 2022. https://www.britannica.com/biography/Urban-II.

(2) Robert of Rheims, account of Urban II's speech at Clermont, taken from L. and J.S.C. Riley-Smith, *The Crusades: Idea and Reality,* 1095-1274 (London, 1981), pp. 42-45.

(٣) أرمسترونج، كارين، **سيرة النبي محمد**، ص٣٩.

(٤) آنا ماري شيمل (١٩٢٢-٢٠٠٣)، واحدة من أشهر المستشرقين الألمان على مستوى العالم، ومن أكثرهم حبا للإسلام وحضارته وآدابه والقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولها كتاب "وأن محمدا رسول الله" تقول في مقدمته: هذا الكتاب هو الثمرة للاهتمام بشخصية نبي الإسلام الذي تطور على امتداد على أربعة قرون. كانت شغوفة بالشرق والإسلام والصوفية، ودرست اللغات الشرقية والإسلام بجامعة برلين. في كتابها "الشمس المنتصرة" افتتحت كل مبحث بآية قرآنية تشير لموضوع المبحث. عملت كأستاذة في جامعات عالمية، ونقل عنها هجومها =

القرون الوسطى التي اتهمته بأنه كان كاردينالاً استاء لعدم تعيينه بابا فانفصل عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة! واتهمته قصيدة فرنسية بأنه شارك مع شخصين آخرين في تكوين نوع من الثالوث الشيطاني. واتهم الأدب الألماني المسلمين بأنهم يعبدون أصناما ذهبية للنبي.[١]

وللأسف فإن مثل هذه الصور الشنيعة راسخة في اللاوعي الجماعي للغرب، وهو ما قد يفسر العداء الغربي للإسلام. كان سوء فهم دور النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يزال، من أكبر العقبات التي تحول دون تقدير المسيحيين للإسلام ورسوله. لأنه، أكثر من أي شخصية تاريخية أخرى، جعله أعداء الإسلام، من خلال الدين والدراما والشعر، يثير الخوف والكراهية في العالم المسيحي منذ العصور الوسطى.

وأثناء فترة النفوذ الإسلامي في الأندلس بدأت الكنيسة بكتابات تصور شخص الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مسكون بالشيطان وأنه ضد المسيح، وكان لذلك دور كبير في توحيد صفوف الحملات الصليبية.

أما التعصب المسيحي فقد كان المغذي لصور الإساءة، وأول ذلك كان مع أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي. ثم كانت رسومات كتاب دانتي[٢] الإيطالي المسمى "الكوميديا الإلهية" في القرن الرابع عشر، ويُعتبر من الكتب التي تهين دين الإسلام،

=

على سلمان رشدي. كانت آخر كتبها الثمانين "شرق وغرب – حياتي الغريبة الشرقية". ينظر: آنا ماري شيمل، **الشمس المنتصرة**، ترجمة عيسى العاكوب، (دمشق: دار التكوين، ط١، ٢٠١٦)، ص١١.

(١) عيد، ثابت، **أنّاماري شيمل– نموذج مشرق للاستشراق**. (القاهرة: دار الرشاد، ١٩٩٨)، ص٣٣.

(١) دانتي (١٢٦٥-١٣٢١) شاعر إيطالي وفيلسوف ومفكر سياسي. اشتهر بالقصيدة الملحمية الضخمة (الكوميديا الإلهية)، التي يعتبرونها من بين أعظم الأعمال في جميع الأدب الأوروبي في العصور الوسطى. وهي رؤية مسيحية لمصير البشرية. كتبها متأثرا برحلة الإسراء والمعراج، وكتاب سالة الغفران لأبي العلاء المعري. أقول إنه أبدى إساءة كبيرة للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب، بسبب التجاهل فلم يكن دانتي جاهلا، أو الرقابة في الأوساط المسيحية، التي تعتبر الإسلام منشقا عن المسيحية. وضع دانتي –أخزاه الله– النبي في الجحيم مع مثيري الشقاق، وعذابهم انشقاق أجسامهم.

Quinones, R. J. "Dante." Encyclopedia Britannica, June 23, 2023. https://www.britannica.com/biography/Dante-Alighieri.

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهناك صور وتماثيل مسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم داخل بعض الكنائس الأوروبية القديمة ومنها تمثال خشبي في إحدى كنائس بلجيكا، صنع في القرن السابع عشر يمثل انتصار المسيحية على الإسلام، وفيها تخيل الملائكة وهي واقفة على ظهر الرسول وهي (تدهسه) وهو ممسك بالقرآن! وفي القرن الثامن عشر عرضت مسرحية فولتير[1]، التي سماها "محمد (ماهومت) أو التعصب". والتي صورت نبي الإسلام بأوصاف لا يليق ذكرها.

ولعل فولتير قد غير رأيه عن نبي الإسلام، فقد قال في مقال له عام ١٧٥٦، إن الرسول كان بالتأكيد رجلا عظيما، وقام بأعظم دور يمكن لإنسان أي يقوم به على ظهر الأرض.[2]

## المطلب الأول: التصورات الأوروبية لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم، للإساءة على مدار التاريخ، ولكن الإساءة كانت شديدة الحقد في أوروبا المسيحية. يقول وات[3]: "من بين جميع الرجال العظام في

(٢) فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)، كاتب وفيلسوف فرنسي. كان غزير الكتابة، ويعتبر رمزا لعهد التنوير. كان ضد الاستبداد السياسي والتعصب الديني، واشتهر بذكائه وسخريته وقدرته النقدية. انتقد في كتابه "القاموس الفلسفي" الكتاب المقدس، وقال إن مؤلفي الأناجيل الأربعة يتناقضون انتقاضا فاحشا فيثبتون كذبهم. ورفض التثليث وألوهية المسيح. ولكنه اعتبر الإلحاد خطرا على الإنسانية. وتغيرت نظرته السلبية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ربما بعد اطلاعه على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق البريطاني جورج سيل.

ينظر: ألفا، روني إيلي، **موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢)، ج٢، ص١٧٠-١٧٧.

(٢) مومزن، كاتارينا، **جوته والعالم العربي**، ترجمة: عدنان عباس علي، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، د.ت)، ص١٨١.

(١) مونتغومري وات (١٩٠٩ - ٢٠٠٦) هو مستشرق بريطاني، عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إدنبره، ألف كتبًا في السيرة والفلسفة الإسلامية منها كتاب فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية. اعتُبر عمله عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جزئيه "محمد في مكة" و"محمد في المدينة" الأكثر موضوعية وعمقًا وشمولية في دراسة السيرة. ولكن بعض النقاد يرون أنه يحذو حذو الاستشراق المبني على معرفة مشوشة، ومناهج منقوصة، ونوايا =

العالم، لم يتعرّض أحد منهم للتشهير كما تعرّض محمد. ولا يصعب علينا تحسّس ذلك على أرض الواقع، فقد ظل الإسلام لقرون أعظم عدو للعالم المسيحي".[١]

من أمثلة ذلك ما كتبه الأكويني[٢]، وهو فيلسوف ولاهوتي كاثوليكي إيطالي شهير. حيث كتب كتابا عن العقيدة المسيحية يسمح للمبشرين بالعودة إليه لدى دعوتهم لغير المسيحيين. وينتقد الأكويني في هذا الكتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فيدّعي ارتكاز تعاليمه على وعود الملذات الجسدية، وعلى عدم تأيدِّها بالمعجزات. كما يقول بإن محمدا كسب التأييد والدعم بقوة السلاح، وبإن تعاليمه تتناقض مع العهدين القديم والجديد.[٣]

من الكتب المهمة التي تسجل هذه التصورات ، كتاب "وجوه محمد" الذي يعتبر رحلة عبر تسعة فصول مرتبة تاريخيا، يشرح كاتبها الأهمية التاريخية والجدلية لتفاصيلها.[٤]

يلخص الفصل الأول (محمد الوثن) وادّعاء أن الصليبين خلال الحروب الصليبية شهدوا عبادة (محمت) كوثن في القدس. كان التشديد على وثنية الشرقيين عاملاً أساسياً في تبرير الحروب الصليبية. ويقول إن العداء الذي أظهره المسيحيون هنا يعكس عدم شعورهم

=

عدائية. وأنه متأثر بالرؤيا العَلمانية وباليهودية والمسيحية، وكان انتقائيا في استخدام القرآن والسيرة والمراجع (الشمري، ماهر، **النبي محمد في مؤلفات مونتجمري وات عن السيرة النبوية: دراسة تحليلية مقارنة**، (بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٩). ينظر أيضا: مزاحم، هيثم، **مونتغومري وات والدراسات الإسلامية**، (بيروت: جداول للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧)..

(1) Montgomery Watt, *Muhammad At Medina* (Oxford, The Clarendon Press: 1956), p. 324

(٣) توما الأكويني (١٢٢٤–١٢٧٤) الفيلسوف والكاهن الإيطالي، وأبرز علماء الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، ويعتبرونه قديسا. وكشاعر كتب بعضًا من الترانيم الكنسية. طور استنتاجاته الخاصة من مقدمة أرسطو. وأقول لكنه تأثر بابن رشد ثم عاداه، وكان موقفه من الإسلام ورسول الإسلام عدائيا ومسيئا في كتابه "الخلاصة ضد الوثنيين".

**Chenu, M. "St. Thomas Aquinas." Encyclopedia Britannica, June 21, 2023. https://www.britannica.com/biography/Saint-Thomas-Aquinas**.

( ٣) هوبرت هيركومر، **صورة الإسلام في التراث الغربي** (دراسات ألمانية)، ترجمة ثابت عيد، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، ص٣٢.

(4) John Tolan، *Faces of Muhammad: Western Perceptions of the Prophet of Islam from the Middle Ages to Today* (Princeton: Princeton University Press, 2019).

بالأمان فيما يتعلق بعبادة القديسين. والسرد الذي أنشأوه يشجع المواجهات الجسدية العنيفة مع المسلمين بدلاً من الجدل اللاهوتي.

ينتقل الفصل الثاني (المحتال والمهرطق) إلى الآراء المسيحية في العصور الوسطى الأكثر انتشارًا، أي أنه أفسد المسيحية وخدع الجماهير العربية. تم الإدلاء بحجج مفادها أنه اتبع النبوة كبديل لملكية لا يستطيع الحصول عليها. ربما يكون السرد الأكثر لفتًا للانتباه هو أنه أخبر أصحابه أنه سيصعد في اليوم الثالث بعد وفاته، وتحققت النبوءة عندما وُضعت جثته في تابوت حديدي نُقل إلى معبد في مكة كان به مغناطيس في السقف، وبقي التابوت طافيا. بالطبع، مات النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ولا يوجد ذكر تاريخي لتابوت عائم، لكن هذا الخيال المريض استغرق قرونًا ليتم تصحيحه.

ويركز الفصل الثالث (النبي المزيف للمغاربة) على مسلمي إسبانيا بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر، وكيف أن نهايتهم مبررة مسيحيا. كان قمع المسلمين مبررًا، في ضوء كيفية معاملة المسيحيين في الأراضي الإسلامية – على الرغم من أن أوجه التشابه كانت قليلة ومتباعدة، نظرًا لأنه تم التسامح مع المسيحيين في الأراضي الإسلامية، بينما تم طرد وقتل المسلمين واليهود.

ويتعمق الفصل الرابع (نبي الأتراك) في المناقشات اللاهوتية بين المسيحيين، مثل مسألة "الحمل بلا دنس"، الذي جعلته الكنيسة الكاثوليكية عقيدة رسمية في عام ١٨٥٤. وعزز المؤيدون موقفهم من خلال الاستشهاد بالإجماع الإسلامي على صحتها، وبالتالي جعل الإسلام أكثر نقاءً وأصالة من بعض طوائف المسيحية. وهكذا تحول الخطاب نحو فكرة أن الإسلام هو طائفة غير كاملة من المسيحية. رد الكاثوليك بعمل واحد يذكر كلاً من محمت وكالفن[1] (المصلح البروتستانتي) معًا في الجحيم. لقد خشي بعض رجال الدين من اعتناق

(١)جون كالفين (١٥٠٩– ١٥٦٤) ، لاهوتي ورجل دولة كنسي فرنسي. وهو المصلح البروتستانتي الرائد وأهم شخصية في الجيل الثاني للإصلاح البروتستانتي. كما أن تفسيره للمسيحية والأنماط المؤسسية والاجتماعية التي عمل بها في =

الإسلام، الأمر الذي جعلهم ينشرون أساطير العصور الوسطى. وادّعى أحدهم أن محمدا تلقى تعليمه من العلوم والكتب المقدسة لليهود والمسيحيين، وأنه سافر إلى إفريقيا وإسبانيا، وتوج ملكًا على دمشق!

ثم يصف الفصل الخامس (الثوار الجمهوريون في عصر النهضة في إنجلترا) وهي ثورة في الفكر الأوروبي تزامنت مع نشر السيرة الذاتية للنبي عام ١٦٧١ لهنري ستوب.[١] أعاد ستوب النظر في الأدب الأوروبي فيما يتعلق بمحمد وبدأ نقلة نوعية أشادت بصفاته واستنكر فساد الكنيسة. وذهب المفكر الأيرلندي الحر جون تولاند إلى أبعد من ذلك ليقترح أن "محمدا كان مسيحيًا أفضل من بولس". تم نشر بعض هذه الأعمال في الخارج خوفًا من الانتقام.

ويتتبع الفصل السادس (نبي التنوير) كيف قام مؤلفو تلك الفترة بتعظيم النبي كمصلح، حيث هاجموا الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية. دافعت أطروحة عام ١٧٠٥ مكتوبة باللغتين العربية واللاتينية عن معتقدات الإسلام.

---

=

جنيف أثرت بعمق على البروتستانتية في أماكن أخرى في أوروبا وأمريكا الشمالية. نشر كتابه "تأسيس الديانة المسيحية" وهو بيان لمذهب الإصلاحيين، وكتب تفسيرات لمعظم الأناجيل.

Bouwsma, W. J. "John Calvin." Encyclopedia Britannica, July 6, 2023. https://www.britannica.com/biography/John-Calvin

(٢) هنري ستوب (١٦٣٢-١٦٧٦) كاتب وطبيب إنجليزي. من أهم أعماله هو نص عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ودفاع عن الإسلام كتبه عام ١٦٧١م، يُعرف عادةً باسم "صعود وتطور المذهب المحمدي". وهو واحد من أقدم الأعمال الإنجليزية التي تصور الإسلام بتعاطف. بحث ستوب في موضوعه على نطاق واسع، كما يتضح من عدد المراجع الموجودة في هوامش المخطوطات، ويعرض تاريخًا للإسلام وحياة النبي، خالٍ بشكل مدهش من التحيز. طبع النص في كتاب متوفر على النت تحت اسم "سرد لصعود المذهب المحمدي وتقدمه: مع حياة محمد وتبرئته ودينه من افتراءات المسيحيين"، نشر في لندن عام ١٩١١. في الباب العاشر تحدث على عدالة الحروب في الإسلام، وأن عقيدة محمد لم تنتشر بالسيف.

Henry Stubbe. An account of the rise and progress of Mahometanism: with the life of Mahomet and a vindication of him and his religion from the calumnies of the Christians, edited by Mahmud Khan Shairani, London, Luzac and Co, 1911. https://wellcomecollection.org/works/hb5778bc/items?canvas=9

ويناقش الفصل السابع (المشرّع، رجل الدولة، البطل) كيف سعى نابليون إلى الاقتداء بنبي الإسلام. حتى مرض الصرع المزعوم للنبي تم إعادة تفسيره بشكل إيجابي، مما يدل على إنسانيته (نظرًا لأن رجالًا عظماء مثل قيصر أصيبوا به أيضًا).

ويقيّم الفصل الثامن (محمد يهودي؟) وجهات النظر اليهودية، مثل وجهة نظر غوستاف فايل[1]، الذي أصبح في عام ١٨٤٢ أول مؤلف غير مسلم يستشهد بأعمال علمية إسلامية تراثية. ينتهي الفصل برسم تخطيطي لحياة المستشرق الشهير، جولدتسيهر[2]، الذي أحدث ثورة في دراسة الإسلام من قبل الأوروبيين، والذي سافر حول العالم الإسلامي للدراسة مع علماء المسلمين (وإن كان ذلك من أجل غاياته الخاصة).

وأخيرا يسلط الفصل الأخير (نبي الإيمان الإبراهيمي) الضوء على الحجج اللاهوتية لإعلان محمد نبيًا للمسيحيين أيضًا، وهي فكرة مثيرة للجدل ولكنها مقبولة بشكل متزايد. يناقش القسم الأخير مساهمات مونتغمري وات، الذي دعا المسلمين والمسيحيين إلى إصلاح عقائدهم المتعلقة بالآخر. وطالب المسلمين بالتخلي عن اعتقادهم بأن النصوص التوراتية قد تم تحريفها، واصفا إياها بأنها آلية دفاع غير ضرورية. ودحض "وات" ادّعاء المستشرق

(١) غوستاف فايل (١٨٠٨-١٨٨٩م) مستشرق ألماني يهودي تعلم العربية في مصر حيث أمضى فيها أربع سنوات، ثم كان أستاذا للغات الشرقية بألمانيا. ترجم ألف ليلة وليلة، وسيرة ابن هشام. وله كتاب عن تاريخ الخلفاء، وألف كتاب "النبي محمد: حياته ومذهبه"، ويعد أول سلسلة من الكتب التي سيكتبها المستشرقون عن السيرة، ولكن أيضا يعد أشدها تحاملا وبعدا عن الموضوعية العلمية والدقة التاريخية. ينظر: بدوي، عبدالرحمن، **موسوعة المستشرقين**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٩٣) ص٣٩٠-٣٩١.

(٢) جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) هو مستشرق يهودي مجري، وكان أول يهودي في العالم يصبح أستاذا للغات السامية في جامعة بودابست. عُرف بغزارة تأليفه عن الإسلام حتى وصل إلى ٥٩٢ بحثا. من أوائل أبحاثه "الظاهرية مذهبهم وتاريخهم"، ثم كتاب "دراسات إسلامية" الذي كان له أخطر الأثر في هذا الفرع. أما أشهر أبحاثه تأثيرا فهما "محاضرات في الإسلام" و"اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين". يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي، ويعتبره آخرون أول مستشرق يقوم بالتشكيك في الحديث النبوي. ينظر: بدوي، عبدالرحمن، **موسوعة المستشرقين**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٩٣) ص١٩٧-٢٠٣.

السوفيتي كليموفيتش، "أن محمدًا لم يكن موجودًا أبدًا، وأنه كان من اختراع علماء الإسلام اللاحقين".

**المطلب الثاني: الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث**

لقد تعاقبت جهود التشويه بوتيرة متسارعة، فيذكر إدوارد سعيد أن الغرب أنجز ما بين سنتي ١٨٠٠ إلى ١٩٥٠، أكثر من ستين ألف مؤلف، كلها تسيء إلى صورة الشرق.(١) وهي عوائق كثيفة مانعة من إقبال الآخرين على فهم الإسلام. بالإضافة إلى الجيوش الأوروبية، والسلك القنصلي، والتجار، والبعثات العلمية والأثرية، والمنصرين، صدرت آلاف الكتب من خلال جهاز الاستشراق الثقافي النشط والمعادي للإسلام.

وفي العصر الحديث صدرت الكثير من المطبوعات التي طعنت في شخصية الرسول ومن أبرزها رواية "آيات شيطانية" للروائي البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي والتي صدرت في لندن ١٩٨٨، والتي جرحت مشاعر المسلمين. وبعد حوادث سبتمبر شهد العالم تصاعدا في الكتابات التي تطعن في شخصية الرسول، ومن أشهر الكتب التي صدرت في هذه الفترة كتاب باسم "نبي الخراب" للمؤلف الأمريكي كريج وين.

ولما وجد صحفي دانماركي صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول في كتابه، قامت صحيفة مولاندس بوستن الدانماركية في عام ٢٠٠٥ بنشر ١٢ صورة مهينة، وبعد أقل من أسبوعين قامت صحف نرويجية وألمانية وفرنسية بإعادة نشر هذه الصور. وفي نوفمبر ٢٠١١، نشرت صحيفة "شارلي إيبدو" الفرنسية إصدارا، واعتبرت نبينا الحبيب هو رئيس التحرير. وفي يناير ٢٠١٣: أصدرت عددا فيه رسومات مسيئة عن حياة النبي عليه الصلاة والسلام، في ٦٥ صفحة! أثار كل ذلك تاريخيا ردود فعل صاخبة على المستوى الرسمي والشعبي في أوروبا والعالم الإسلامي، وبدأت حركات في أوروبا تطالب بتعديلات في القوانين المتعلقة بالإساءة إلى الرموز الدينية، حيث وجدت الكثير من الدول الأوروبية نفسها في مواقف قانونية حرجة لوجود بنود متعارضة تجرم الإساءة للدين، وتسمح بحرية التعبير عن

(1) Edward Said, *Orientalism: Western Conceptions of the Orient* (London: Penguin Modern Classics, 2003), 204.

الرأي (كما في النمسا وفنلندا وألمانيا). بل إن حرية الرأي والتعبير ليست مطلقة في فرنسا، إذ يمنع القانون أي كتابة أو حديث يؤدي إلى حقد أو كراهية لأسباب عرقية أو دينية، ويمنع أيضا تكذيب جرائم الإبادة الجماعية ضد اليهود من قبل النازيين.

إن السخرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دين الإسلام كفر صريح وردّة ظاهرة أيضا. قال القاضي عياض: "اعلم أن جميع من سب النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه، أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الازدراء عليه أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له، فهو سابّ له والحكم فيه حكم السابّ".. وهذا كله إجماع من الصحابة وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم.[1]

(١) القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عبده كوشك، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ٢٠١٣)، ص٧٦٥.

## المبحث الثاني

## الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا

### المطلب الأول: الجهل بالإسلام

جاء عن الراغب أن الإنسان في الجهل على أربع منازل: الأول: من لا يعتقد اعتقادًا لا صالحًا ولا طالحًا. والثاني: معتقد لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عليه ولم يترب به. والثالث: معتقد لرأي فاسد قد ران على قلبه، وتراءت له صحته فركن إليه لجهله وضعف طبيعته. والرابع: من كان معتقدًا اعتقادًا فاسدًا عرف فساده، لكنه اكتسب كرسيًّا لرئاسته، فهو يحامي عليه فيجادل بالباطل ليدحض به الحق، ويذم أهل العلم ليجر إليه الخلق، وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر.(١) ولعل هذه المنازل تفرّق بين جهل عوام الأوروبيين من غير المسلمين، وجهل الخواص الذين هم بمثابة أكابر المجرمين، ممن عرفوا الحقيقة فاستكبروا ودعوا إلى غيرها.

أصبحت كراهية الإسلام جائحة اجتماعية تسمم أوروبا. وأحد أسباب ذلك سوء الفهم والجهل بحقيقة الإسلام. وهذا ما عبّرت عنه المستشرقة الألمانية شيمل في مقدمة كتاب مراد هوفمان، "الإسلام كبديل" أن "الناس أعداء ما جهلوا. فالجهل يولد الخوف والكراهية، هذا ما يؤكده التاريخ والعلاقات بين الأفراد والأمم.. يصدق هذا في موضوع الدين، والإسلام مَثَلٌ نموذجي للالتباس وسوء الفهم عند الغربيين الآن".(٢)

### دليل حدوث الجهل

لا أشك في أن الجهل من الأسباب الرئيسة لاختلاف التصور والمتخيل الديني، وأوافق من قال إن العدو الأول للإسلام هو الجهل به، يجعله يبدو في أعين الجاهلين وكأنه مجموعة سدود تقف في وجه المصالح والرغبات. وهو المناخ الوحيد الذي تستنبت فيه الأكاذيب التي تتنامى وتلتصق بالإسلام خلال غيبوبة بعض المسلمين عن إسلامهم. وهذا ما يفسر كثرة

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**. تحقيق: العجمي، (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٧)، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) هوفمان، مراد، **الإسلام كبديل**، تعريب: عادل المعلم، (القاهرة: دار الشروق، ط١ ،١٩٩٧)، ص١٠.

الكتب الفكرية التي تنشر عن الإسلام، محشوة بالافتراءات المتنوعة عليه، ومليئة بالعبث بنصوصه، والدجل في عرض مضامينه وأحكامه.(١)

أشار استطلاع رسمي للرأي نشر سنة ٢٠١٠ إلى أن ٥٨% من البريطانيين الذين شاركوا في هذا الاستطلاع يربطون الإسلام بالتطرف. وقال سبعة من عشرة إن الإسلام يحض على قمع المرأة. كما اتضح من الاستبيان أن ٣% فقط يتلقون معلوماتهم عن الإسلام من هيئات إسلامية. ولكن ثلث الناس عطشى لمعرفة الإسلام من المصادر الموثوقة. ومما يدل على الجهل بالإسلام، فجوابا على سؤال مَن الشخص الفرد الذي يمثل الإسلام؟ قال ٣٤% إنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، و١٣% قالوا إنه أسامة بن لادن، و٣% قالوا إنه يوسف إسلام ومثلهم قالوا إنه أبو حمزة، وبوتو، وكلاي. وقال ٣١% إنهم لا يعلمون! انظر الجدول رقم١.(٢)

| جدول ١: نتيجة استبيان ٢١٥٢ بريطانيّا من غير المسلمين | |
|---|---|
| **درجة العلم بالإسلام** | |
| ٢% | يعلمون كثيرا عن الإسلام |
| ١٧% | لا يعلمون أي شيء البتة عن الإسلام |
| ٢٠% | يعلمون معرفة مناسبة |
| ٦٠% | لا يعلمون الكثير عن الإسلام |
| **الحصول على معلومات عن الإسلام** | |
| ٥% | لا يمكن الوصول إليها على الإطلاق |
| ١١% | سهلة المنال |
| ٢٢% | ممكن الوصول إليها |
| ٣١% | يشعرون أن المعلومات عن الإسلام غير سهلة المنال |
| ٣٣% | يرغبون أن يعرفوا أكثر عن الإسلام |
| **مصدر المعلومات عن الإسلام** | |

(١) ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، **الإسلام والغرب**، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٧)، ص٩٩-١٠٠.

(2) YouGov, Exploring Islam Foundation, Survey Results, 2010, http://cdn.yougov.com/today_uk_import/YG-Archives-Pol- ApexCommunicationsExploringIslamFoundation2-100520.pdf

| | |
|---|---|
| ٥٧% | من أخبار التليفزيون |
| ٤١% | من الصحف |
| ٢٢% | من المعاهد التعليمية (المدارس، الجامعات) |
| ١٦% | من الإنترنت |
| ١٦% | من الأصدقاء |
| ١٥% | من الكتب |
| ١٢% | من المسلمين في المجتمع |
| ١١% | من زميل في العمل |
| ٣% | من الهيئات الإسلامية |
| ٣% | من القرآن الكريم |
| **التصورات عن الإسلام** | |
| ٧٧% | يربطون الإسلام بالتدين |
| ٦٩% | يعتقدون أن الإسلام يشجع قمع المرأة |
| ٥٨% | يربطون الإسلام بالتطرف |
| ٥٠% | يربطون الإسلام بالإرهاب |
| ٤١% | لا يوافقون أن للمسلمين دورا إيجابيا في المجتمع البريطاني |

وفي استبيان عام ٢٠١٨، لم يشعر معظم البريطانيين (٥٧٪) أن لديهم الكثير من المعرفة أو الفهم للإسلام، وتؤكد الدراسات الاستقصائية أن المفاهيم الخاطئة منتشرة على نطاق واسع.(١)

ومن المرجح أن يؤدي هذا النقص في المعلومات إلى تأجيج المفاهيم والتصورات الخاطئة – فيعتقد ثلثا الناس أن المفاهيم الخاطئة للإسلام تؤثر سلبًا على نوعية حياة المسلمين. وقد يكون هذا مدفوعًا جزئيًا بحقيقة أن أكثر من النصف (٥٥٪) يحصلون على معظم معلوماتهم حول الإسلام من وسائل الإعلام. وعدد المقالات الإعلامية المكتوبة عن المسلمين قد بلغ ذروته بوضوح بعد الأحداث الكارثية المتعلقة بالإرهاب.(٢) يرتفع عدد

(1) Ipsos MORI, *A review of survey research on Muslims in Great Britain* (London: Ipsos MORI Social Research Institute, February 2018), ٩.

(2) Baker, P, Gabrielatos, C, and McEnery, T, *Discourse Analysis and Media Attitudes: The representation of Islam in the British press 1998-2009* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013).

الذين يحصلون على معلوماتهم عن الإسلام من وسائل الإعلام إلى ٦٥٪ بين أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين ٥٥-٦٤ سنة، وإلى ٦٧٪ لمن لا يعرفون أي شخص مسلم. كما يرتفع الاعتقاد بين الشباب البريطانيين بأن وسائل الإعلام سلبية للغاية تجاه المسلمين إلى سبعة من كل عشرة (٦٩٪).[١]

وهناك دراسة نشرت من جامعة برمنجهام في يناير ٢٠٢٢، أظهرت أيضا بالاستطلاع أن الأشخاص من الفئات المهنية من الطبقة المتوسطة والعليا هم أكثر عرضة لتبني آراء متحيزة ضد الإسلام ٢٣.٢٪. وعندما يُسألون عن آرائهم حول المسلمين، فإن كبار السن، والرجال، والناخبين المحافظين، والذين صوتوا لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، يكونون أكثر ميلًا إلى تبني وجهات نظر متحيزة.[٢]

ومن النتائج الرئيسة الأخرى، أنه من المرجح أن يتبنى الرأي العام البريطاني ثلاث مرات تقريبًا آراء متحيزة عن الإسلام مقارنة بالديانات الأخرى. ويعترف البريطانيون بجهلهم لمعظم الديانات غير المسيحية.

وفي معظم بلدان أوروبا، يميل الناس إلى القول إنهم يعرفون "ليس كثيرًا" أو "لا شيء على الإطلاق" عن الدين الإسلامي وممارساته (بمتوسط ٦٣٪) وهي نفس نسبة بريطانيا، أما أكثر الدول جهلا بالإسلام فهي إيطاليا ٧٤٪، البرتغال ٧٤٪، إسبانيا ٧٢٪، هولندا ٧١٪، وأقلها جهلا النرويج ٣٩٪، والسويد ٤٩٪، وبلجيكا ٥٠٪.[٣]

(1) Populus, Hope Not Hate Survey, 4,015 GB adults aged 18+ years, interviewed 1-8 February 2016، https://yonderconsulting.com/poll/hope-not-hate-survey/

(2) Stephen Jones, *The Dinner Table Prejudice: Islamophobia in Contemporary Britain*, (Birmingham: The University of Birmingham, 2022), 34-35.

(3) Pew Research Center, Majorities say they know not too much, or nothing at all about Islam, Judaism, https://www.pewresearch.org/religion/2018/05/29/nationalism-immigration-and-minorities/pf_05-29-18_religion-western-europe-01-08/ 23 May 2018.

**المطلب الثاني: أسباب دينية مسيحية**

يعتبر يوحنا الدمشقي[١] أول من أعطى رأيًا مسيحيًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ففي كتابه "ينبوع الحكمة" اعتبره نبيًا كاذبًا، واستعمل القرآن لتغطية آثامه. وتعتبر أعمال الدمشقي هي الأساس الذي اعتمد عليه اللاهوتيون الغربيون في انتقاد الإسلام.[٢] وأدت الصدامات اللاحقة مع المسلمين في الأندلس وفلسطين إلى ظهور تيار مغال في انتقاد الإسلام واشتد هذا التيار بعد حروب الأوروبيين مع العثمانيين.

ووصف الدفاعيون الكاثوليك محمدًا في مطلع القرن العشرين على أنه مصلح اجتماعي، غير أن رسالته انطلقت من فهم خاطئ لليهودية والمسيحية. وأشاد "هيلير بيلوك"[٣] أحد أبرز الدفاعيين الكاثوليك في مطلع القرن العشرين برسالة الرسول محمد التي وضعت مكانة خاصة للمسيح وأمه مريم، غير أنه اعتبر أنه لم يأت بديانة جديدة، بل رأى أن الإسلام هرطقة يهودية مسيحية دُمجت بها بعض من ديانات العرب.[٤]

---

(١) يوحنا الدمشقي، (٦٧٥ –٧٤٩م)، ولد في دمشق باسم يوحنا منصور بن سرجون، وكان والده يعمل وزيرًا في بلاط الخلافة الأموية. ويوحنا هو الراهب اللاهوتي للكنائس اليونانية واللاتينية، وكان يبجل الصور المقدسة. في كتابه "الهراطقة" اعتبر الإسلام نوعًا من المسيحية المهرطقة (بمعنى الكفر والبدعة). ومن كتبه "ينبوع المعرفة" ويعتبر جدلا وتفسيرًا لاهوتيًا مسيحيًا لفلسفة أرسطو.

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia. "St. John of Damascus." Encyclopedia Britannica, November 30, 2022. https://www.britannica.com/biography/Saint-John-of-Damascus.

**(2) Jean-Marie Gaudeul, *Encounters & clashes: Islam and Christianity in history* (Rome: Pontificio Istituto di Studi Arabi e Islamici, 1984), 34-36.**

(٣) هيلاير بيلوك (١٨٧٠– ١٩٥٣)، كاتب وشاعر إنجليزي، ومؤرخ وسياسي وأحد أبرز المؤلفين الكاثوليك في عصره. ألف عام ١٩٣٧ كتابه "الحروب الصليبية: نقاش العالم": وفيه يعطي تفسيرات لضرورة الحروب الصليبية، ولماذا فشلت. يجادل بأن الإخفاقات الشخصية والاستراتيجية لقادة الحملة الصليبية الأولى لم تؤد لإنشاء دولة، وبالتالي ترك أوروبا عرضة للعدوان الإسلامي. وقال إن الإسلام دين سليم، وستتعود قوته المادية. وينتقد حال المسيحية فيقول: ديننا في خطر، توجد فوضى عارمة في العقيدة، نحن نعبد أنفسنا، نعبد الأمة. ولا يعاني الإسلام من هذا التدهور الروحي، ومن هنا الخطورة.

Belloc Hilaire, *The Crusades: the World's Debate,* Bruce Publishing Company, 1937, p. 8.

(4) Mahmut Aydin, Contemporary Christian evaluation of prophethood of Muhammad, In *Modern Western Christian Theological Understandings of Muslims Since the second Vatican council* (Washington: The council of research in values and philosophy, 2002), 133-156.

ويشبّه "وات" النبي محمدا -صلى الله عليه وسلم- بأنبياء العبرانيين: "كان محمد نبيًا يمكن مشابهته بأنبياء العهد القديم، على أن وظيفته اختلفت قليلًا. فبينما انتقد هؤلاء انحراف العبرانيين عن ديانتهم، كان على محمد أن يجلب معرفة الله لأشخاص لم يكن لهم سابقًا علم بها. فبهذا المنطلق تشبه وظيفته وظيفة موسى حيث تم بواسطتهما نقل شريعة إلهية لشعبيهما".[١]

تاريخيا مرت العلاقات بين الفاتيكان والعالم الإسلامي بمراحل سيئة وأخرى بالغة السوء، وقد وصلت إلى ذروتها عندما أعلن البابا أوربانوس الثاني سنة ١٠٩٥م الحروب الصليبية، تحت راية حماية الأراضي المقدسة، التي استمرت حتى عام ١٢٩١م. وفي سنة ١٢١٢م، قام تحالف من دول مسيحية بتوجيه من البابا إينوسنت الثالث لطرد المسلمين من الأندلس.[٢]

ويرى معيمش أن تداخل الأمر السياسي بالعقائدي هو أكبر الأسباب في ضيق نظرة المسيحيين إلى غيرهم من غير المسيحيين، وإلى الأديان والحضارات. حيث "تم غلق الأبنية النفسية للفرد المسيحي في دائرة محكمة من منظومة السلطة المغلّفة بشرعية الكنيسة وسلطاتها البابوية وعقيدة الخلاص ونشر رسالة المسيح. لذلك لم تتغير هذه النظرة إلى الأغيار سوى ما تعلق باليهود، إذ تميزت العلاقات الدينية معهم لقوة طوائفهم وهيمنتهم داخل الكيان الغربي".[٣]

وبالنظر إلى مصداقية موقف الكنيسة الرسمي، فقد راجعت الكنيسة الكاثولكية موقفها من الإسلام في مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٥. فجاء في بيانها أن "الكنيسة تنظر بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيوم الرحيم، علاوة على ذلك أنهم ينتظرون يوم الدين، ويعتبرون أيضًا الحياة الأخلاقية ويؤدّون العبادة لله لا سيّما بالصلاة

**(1) Montgomery Watt, *Religious Truth for Our Time* (Oxford: Oneworld Academic, 1995), 80.**

(٢) السماك، محمد، **الفاتيكان والعلاقات مع الإسلام**، (بيروت: دار النفائس، ٢٠١٩)، ص٢٩-٣٢.

(٣) معيمش، **صورة الإسلام في المخيال المسيحي**، ص٦٣-١٠٤.

والزكاة والصوم. وإذا كانت قد نشأت منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيّين والمسلمين، فالمجمع المقدّس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعزّزوا معًا العدالة الاجتماعية والسلام والحرّية لفائدة جميع الناس".[١] والملاحظ أن البيان لم يذكر شيئا عن النبي"محمد" صلى الله عليه وسلم، أو القرآن الكريم.

وعلى رغم هذا الموقف الكنسي الرسمي العام فإن عددا مهما من المجامع الكنسية كان يرى في الإسلام تهديدا للنسيج الديني والاجتماعي للمسيحية، كونه ينبني على مفهوم الأمة، وهو مفهوم يعتقدون أنه يستبعد أتباع الديانات الأخرى.[٢] ومما أفقد مصداقية موقف الكنيسة الرسمي، كونه تعبيرا سياسيا في إطار العلاقات الدبلوماسية، وأن قناعات أعضاء المجمع كانت تجاه كل الأعراف الدينية الأخرى عدا اليهودية. ثم حدث تحول جذري بتأثير حماعات الضغط اليهودية في الغرب، وضغوط الدولة العلمانية التي ورثت أوروبا، وكمحاولة لتخطي عقدة ما اقترفه المسيحيون النازيون في حق اليهود.[٣]

**المطلب الثالث: دور الإعلام والإنترنت**

كشف إدوارد سعيد العوامل التي أدت إلى تكوّن الصورة المشوّهة للإسلام في الغرب، واستمرارها حتى وقتنا هذا. ومعظم هذه العوامل يعود لبدايات المشروع الاستعماري الغربي، ولكتابات المستشرقين، ومن يُطلقون على أنفسهم صفة الخبراء بالإسلام، وبعض الأجهزة الإعلامية الغربية العملاقة. يوضح سعيد أن الفكرة المحورية تتبلور حول الدور الخطر الذي

(١) أرشيف الفاتيكان، المجمع الفاتيكان الثاني، **"في عصرنا" بيان حول "علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية"** من البابا بولس السادس، خادم خدّام الله، مع آباء المجمع المقدس، للذكرى الخالدة. ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥.

(٢) جورافسكي، أليسكي، **الإسلام والمسيحية**، (الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦)، ص١٣٠.

(٣) المسيري، عبد الوهاب، **الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد**، (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢)، ص١٤٣.

مارسه ويمارسه الإعلام الغربي، في بث بذور الكراهية تجاه الإسلام وحضارته، ونسبت إلى الإسلام ينسب إليه كل ما يكرهونه في الأنساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية.(١)

ويثير وجود الإسلام والمسلمين في أوروبا العديد من التوترات والنقاشات مثل:

١- خلافات حول المبادئ والأفكار: من قضية رشدي إلى قضية الرسوم الكاريكاتورية.

٢- الصراعات الناجمة عن الأحداث التي تحدث في أوروبا: ويتهم بها فاعلون إسلاميون: مثل الهجمات في لندن ومدريد وباريس ومانشستر. والأعمال الفردية، مثل اغتيال المخرج الهولندي "ثيو فان جوخ".

٣- الخلافات التي تثار فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية: مثل الحجاب ودور المرأة في الإسلام. وكانت فرنسا هي أول من شرع قوانين ٢٠٠٣ تمنع الرموز الدينية في المؤسسات والمدارس. وخرجت عام ٢٠٢١، بقانون "مكافحة النزعات الانفصالية" الذي يستهدف تحديدا "الإسلام"، ويمنع ارتداء الحجاب من قبل الأشخاص المرافقين للتلاميذ في الرحلات المدرسية! ومنع الفتيات تحت ١٨ عاما من ارتداء الحجاب في الأماكن العامة.

٤- الجدل المثار حول بناء المساجد، ومآذنها، كما حدث في سويسرا سنة ٢٠٠٩. كانت الحكومة والبرلمان قد رفضا مبادرة حظر بناء منارات جديدة للمساجد على أساس أنها انتهاك للدستور، ولمبدأ حرية التعبير والحريات الديني، ولكن مقترحا لمنظمات مسيحية حظي بدعم حزب الشعب اليميني، بزعم أن السماح ببناء المآذن سيؤدي إلى أسلمة البلاد! وفي استفتاء شعبي، صوت ٥٧٪ مع مبدأ حظر بناء المآذن.

(١) سعيد، إدوارد ، **تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم**، ترجمة: محمد عناني، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع ط١، ٢٠٠٥)، ص٣٣٠.

استطاع عوان أستاذ علم الجرائم من جامعة مدينة برمنجهام، وهو مسلم (تصله تهديدات شخصية من اليمين المتطرف) تحليل ظاهرة زيادة الإساءة إلى الإسلام عن طريق الإنترنت. ومن خلال دراسة عينة من مائة صفحة مختلفة على الفيسبوك، وجد الباحث أن نصف الصفحات تحمل نماذج فجّة من خطاب الكراهية ضد المجتمعات الإسلامية. ويمتلئ الإنترنت بهذه الكراهية من خلال: التعامل السلبي، والعنصرية، والاتهام النمطي، والتهديد البدني، والتلاحق بالإنترنت.(١) كل ذلك يحمل في طياته خطورة التحريض بأعمال العنف والاضطهاد ضد المسلمين.

كما تم تجميع ودراسة أربعة أبحاث؛ التغطية الإعلامية البريطانية عن مسلمي بريطانيا، وبحث كلية كارديف للصحافة والإعلام عن كيفية تناول وسائل الإعلام الإخبارية المحلية المطبوعة لمسلمي بريطانيا، وبحث مركز حقوق الإنسان بجامعة إسكس، والذي كشف عن استعداد مقلق بين كتَّاب الصحف للانخراط في جدل وكتابات تعادي الإسلام بفظاظة. ودراسة من جامعة لانكستر، أكدت عدم موضوعية الإعلام البريطاني، فضلاً عن ربط مصطلحات بعينها بالإسلام والمسلمين؛ لتصدير صورة مغلوطة، وتشويه المضمون الحقيقي للإسلام.(٢)

ووجد اثنان من علماء السياسة، "بشكل قاطع" أن تغطية المسلمين أكثر سلبية "بشكل ساحق" مقارنة بالمجموعات العرقية الأخرى، بعد تحليل مئات الآلاف من المقالات الصحفية التي نُشرت على مدار ٢١ عامًا. بالنظر في ربع مليون مقالة من الولايات المتحدة وإلى أكثر من نصف مليون منشور بريطاني وكندي وأسترالي حتى سنة ٢٠١٦، وُجد أن

(1) Imran Awan, "Islamophobia on Social Media, A Qualitative Analysis of the Facebook's Walls of Hate," *International Journal of Cyber Criminology*, 10 (1) (2016): 1-20.

(٢) عيسى، أحمد، الاستشراق الجديد وإعلام الإسلاموفوبيا "بريطانيا نموذجا"، **مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة**، مجلد ٢، العدد ٥ (٢٠٢١): ٢١-٣٠.

الأخبار السلبية التي تذكر المسلمين أو الإسلام مرتفعة للغاية في هذه الدول؛ أمريكا ٨٠٪، بريطانيا ٧٩٪، كندا ٧٩٪، استراليا ٧٧٪.(١)

وتشير الأبحاث إلى أن الإسلام والمسلمين يصنفون على أنهم "تهديد للأمن" من قبل بعض وسائل الإعلام الإخبارية البريطانية. وباستخدام طريقة تحليل الخطاب النقدي أوضحت دراسة الأعظمي كيفية استخدام ثلاث صحف بريطانية يمينية متطرفة هي الصن، والديلي ميل، والديلي تيلجراف، اللغة الصحفية للنشر بين القراء أن المسلمين غير قابلين للتأقلم ثقافيًا، ومتواطئون مع الإرهاب.(٢)

ويتساءل أحد الباحثين: عندما تسمع كلمة "إرهابي" من تتخيل؟ هناك احتمالات، ولكنه ليس بشخص أبيض. تنتشر روايتان شائعتان وإن كانتا خاطئتين عن الإرهابيين، نراهما في التلفزيون وفي الأفلام وفي الأخبار. الأولى هي أن "الإرهابيين هم دائمًا مسلمون (بنيون اللون)". والثانية هي أن "البيض ليسوا إرهابيين أبدًا". وهاتان الروايتان تتوافقان مع الدعاية التي تعتمد على أسطورة براءة البيض وتفوّقهم.(٣)

إن أصحاب نظرية الصدام الحضاري، وهم يؤكدون أن الحضارة الإسلامية هي المرشحة للتصادم مع الغرب، إذ يعتبرون أن الإسلام يحمل تهديدا ثلاثيا؛ سياسيا وحضاريا وسكانيا، يركزون على دعوى عدم قابلية الإسلام وحضارته للتعايش مع الحضارات الأخرى، بزعم أنها حضارة إقصائية وانعزالية ومتعصبة. والواقع أن في ذلك تجنيا واضحا على الإسلام وحضارته، وجهلاً أو تجاهلا متعمدا لعقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه السامية.

(1) Erik Bleich and A. Maurits van der Veen, "Covering Muslims: American Newspapers in Comparative Perspective 1996 to 2016", (Oxford: Oxford University Press, 2022) 96-116.
(2) Salman Al-Azami. "Language of Islamophobia in Right-Wing British Newspapers, Journal of Media and Religion", 20:4, (2021): 159-172.
(3) Corbin, A. M. "Terrorists are always Muslim but never white: At the intersection of critical race theory and propaganda". Fordham Law Review, 26(2), (2017): 455–485.

يرد عليهم سبوزيتو[١]، الذي شدد في حملته النقدية على المؤسسات العلمية والثقافية التي أدت دورا في عملية التشويه وطمس الحقائق، وفي هذا الصدد أكد في كتابه (التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة) أن "التحليل الانتقائي (والمنحاز بالتالي) يضيف إلى جهلنا بدلا من أن يزيد معرفتنا، كما يضيق منظورنا بدلا من أن يوسع مداركنا، ويزيد من تعقيد المشكلة.. وهو يسهم في خلق مناخ يُنظر فيه إلى عدم رفض النشاط الإسلامي ببساطة على أنه انحياز أو تعاطف مع العدو".[٢]

## المطلب الرابع: منظمات اليمين المتطرف المتعصبة

من ستة وعشرين تعريفًا للتطرف اليميني يمكن اشتقاقه من الأدبيات، تم ذكر أكثر من ثمانية وخمسين سمة مختلفة مرة واحدة على الأقل. وتم استخدام خمس سمات فقط من قبل نصف المؤلفين على الأقل، وهي: القومية، والعنصرية، وكراهية الأجانب، ومناهضة الديمقراطية، والدولة القوية.[٣]

وسجل كتاب "أيديولوجية اليمين المتطرف" في نهايته قائمة بأسماء ٥٣ حزبا من الأحزاب الشديدة التطرف في ١٥ دولة من أوروبا الغربية. تشمل القائمة الأحزاب السياسية التي تعتبر بشكل عام أعضاء من عائلة حزب اليمين المتطرف في أوروبا الغربية والتي اشتركت

(١) جون سبوزيتو ( ١٩٤٠-) أستاذ أمريكي جامعي متخصص في الأديان والعلاقات الدولية والدراسات الإسلامية، ومدير ومؤسس مركز الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون بواشنطن. ألف ٤٥ كتابا، ترجمت إلى ٣٥ لغة منها: الإسلاموفوبيا وتحدي التعددية في القرن ٢١، ومستقبل الإسلام. وهو مدير موقع "دراسات أوكسفورد الإسلامية"، ومحرر سلسلة "مكتبة أوكسفورد للدراسات الإسلامية"، و"قاموس أوكسفورد عن الإسلام". وهو مؤلف مشارك مع داليا مجاهد في كتاب "من يتحدث باسم الإسلام؟ فيم يفكر مليار مسلم". ينظر: مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، د. جون أسبوزيتو، كلية قطر للدراسات الإسلامية – جامعة حمد بن خليفة.**https://www.cilecenter.org/ar/node/1129**

(٢)سبوزيتو، جون، **التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟"**، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢)، ص٣٠٠.

**(3) Cas Mudde, "Right-wing extremism analyzed. A comparative analysis of the ideologies of three alleged right-wing extremist parties,"** ***European Journal of Political Research*****, 27:2, (1995): 203–24**.

في انتخابات على مستوى الدولة (أي برلمانية أو أوروبية) مرة واحدة على الأقل في الفترة بين ١٩٨٠ و١٩٩٩.[١]

هذا التطرف اليميني هو ظاهرة موجودة في جميع أنحاء أوروبا ولكنها تصاعدت مؤخرا، بحيث أصبحت جميع المجتمعات الديمقراطية مهددة بالعنصرية وبالمعاداة للتعددية. وعلى الرغم من أنه يختلف في أيديولوجيته من بلد إلى بلد فإنه يسعى إلى تقييد الحقوق المدنية، وتغيير الهياكل الدستورية التي تستند على مبادئ الديمقراطية والحرية. ولقد صار الإسلام والمسلمون والهجرة والمساجد والحجاب والشريعة أدوات ورموزا يلوح بها اليمين المتطرف، ليكتسب أنصارا وليشعلها كراهية ونارا. وهو تحد خطير أمام المسلمين في أوروبا.

وحذّر خبراء من أن اليمينَ المتطرف في بريطانيا أصبح ينتهج بشكل علني سياسة عنصرية أشدّ صرامة في أعقاب ردود الفعل على الاحتجاجات الدولية الداعمة لحركة "حياة السود مهمّة". وجاء في تقرير صادر عن مجموعة "أمل لا كراهية"، أن أعواما من هيمنة "تومي روبنسون" وهو ناشط عنصري بريطاني مناهض للإسلام، وشخصيات أخرى ركّزت على المسلمين، فتحت المجال أمام تنامي نزعة القومية البيضاء. ووجد التقرير أن نمو جماعة "البديل الوطني" الجديدة التي تدعو صراحة إلى طرد السكان غير البيض من بريطانيا، يشير إلى "منعطف نحو سياسات عنصرية أكثر علانية". وأشار مؤلف التقرير إلى أن ناشطي اليمين المتشدد في بريطانيا أصبحوا "أكثر تطرّفا من الناحية الأيديولوجية".[٢]

وحذر المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات[٣] أن بريطانيا تواجه تهديدا جديدا وكبيرا من الإرهاب اليميني المتطرف المنظم، حيث يعد هذا التهديد الإرهابي أكثر أهمية وتحديا من التهديد "الجهادى". ومن أبرز الحركات اليمينية المتطرفة فى بريطانيا:

**(1) Cas Mudde, *The Ideology of the Extreme Right* (Manchester: Manchester University Press, 2002), 185-186.**

(٢) ديردن، ليزي، اليمين المتطرف البريطاني صار أكثر عنصرية، **الإندبندت العربية**، ٢١ أغسطس ٢٠٢٠.

(٣) المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، **مكافحة الإرهاب في بريطانيا– تنامى مخاطر اليمين المتطرف**، ١٩ أغسطس ٢٠١٩.

-حركة "بريطانيا أولا": وتهدف إلى إنهاء "الأسلمة" في المجتمع البريطاني. وهو مناهض للهجرة للبلاد. ووصل عدد متابعي صفحتها إلى ١.٤ مليون متابع. وتبنت الحركة الهجوم على بعض المساجد.

-مجموعات "العمل الوطني" من النازيين الجدد، و"هوية الجيل الأول"، و"رابطة الدفاع الإنجليزية" المتطرفة المعادية للإسلام والمسلمين.

ولأن اليمين المتطرف استسلم للأمر الواقع مؤخرا وقبل باللعبة الديمقراطية، ففي الانتخابات البرلمانية، ارتفعت أسهم الأحزاب العنصرية في كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وهولندا والمجر. ومن النتائج الخطيرة لدعوى أن اللاجئين يشكلون خطراً أمنياً على أوروبا، هو التأثير الاستقطابي الذي تحدثه، واستغلال وسائل الإعلام لها. وكان رهاب الأجانب موجودًا في حملة استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وأدى تدفق أكثر من مليون لاجئ في عام ٢٠١٦، إلى زيادة شعبية الأحزاب القومية، مثل حزب الجبهة الوطنية الفرنسي، وحزب البديل من أجل ألمانيا ليكون أول حزب متطرف يفوز بمقاعد في البرلمان منذ الحرب العالمية الثانية.[١]

**المطلب الخامس: أسباب ذاتية من مسلمي أوروبا**

لا شك أن هناك جزءا قليلا جدا من المسلمين يعطي الفرصة للمتربصين ليصنعوا من الحبة قبة، سواء بسلوكهم غير الملتزم، أو ردود فعلهم غير المدروسة، أو بتقوقعهم الذي يحد من خطوات الاندماج، من أجل نشر وتعميق وتطبيق مبادئ التسامح والاعتراف بحق اختلاف سكان البلد الواحد.

وهناك نقاشات لا تهدأ حول اشتراك مسلمين أوروبيين "جهاديين" في الحروب في العراق (٢٠٠٣)، وسوريا (٢٠١١). وعن مصيرهم، ومصير النساء اللاتي التحقن بهم، وهل يسمح لهم بالرجوع إلى أوروبا. خلصت دراسة أجريت في ٢٠١٨ من قبل المركز الدولي

(1) C Sumpter & J Franco, "Migration, Transnational Crime and Terrorism: Exploring the Nexus in Europe and Southeast Asia." *Perspectives on Terrorism* 12, 5 (October 2018): 36-50.

لدراسة التطرف في لندن، استنادًا إلى بيانات رسمية وأكاديمية إلى أن ما يقرب من ٤٢ ألف شخص، من ثمانين دولة، ينتمون إلى ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، ستة آلاف من أوروبا الغربية (٨٥٠ من بريطانيا)، وسبعة آلاف من أوروبا الشرقية.(١)

وأعد المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، قائمة بما أدرجته الحكومة البريطانية ممن أسمته "الجماعات المتطرفة" التي تُنسب للإسلام، على قائمة المنظمات الإرهابية ومنها: جماعة "المهاجرون"، وحزب التحرير الإسلامى ببريطانيا. وقامت الأجهزة الأمنية بتكثيف آليات مراقبتها، وإزالة العديد من المحتوى المتطرف على الإنترنت، وزادت من جهود الإجراءات في السجون للتعامل مع استقطاب وتجنيد السجناء.(٢)

ومن المعوقات الداخلية التي يكون المسلمون سببا فيها: قلة الانفتاح على المجتمع، وميلهم إلى الانعزال، إما بسبب الخوف من الذوبان أو لصعوبة الاندماج، خصوصا عند الجيل الأول مع مشكلة إتقان لغة القوم ومعرفة الأعراف المحلية.

كما أن الانتماءات الإقليمية والعرقية لها دور في تثبيت الارتباط الاجتماعي في أوساط عرقية مغلقة، تفصل أصحابها عن المجتمع الكبير. وهناك بعض الاتجاهات التي تدعو إلى مفاصلة المجتمع لتحقيق التميز العقائدي، وتجد هذه الأفكار استجابة عند بعض الشباب المتدين من الجيل الجديد.(٣)

ولكن من ناحية أخرى، قد لعبت الصورة النمطية التي صنعها الإعلام بالتصورات الاستشراقية العنصرية للمهاجر المسلم في أوروبا دورا محوريا في تعزيز حالة الخوف المرضي

---

**(1) Joana Cook and Gina Vale, *From Daesh to 'Diaspora': Tracing the Women and Minors of Islamic State* (London: ICSR King's College London، 2018), 14.**

(٢) المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، **قائمة الجماعات المتطرفة في بريطانيا ومراكز أنشطتها**، ١٢ يونيو ٢٠١٩.

(٣) جاء بالله، أحمد، الوسطية بين واجب المواطنة والحفاظ على الهوية، **المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث**، العددان ١٢-١٣ (يوليو ٢٠٠٨): ص٢٧٠.

لدى قاعدة عريضة من المواطنين من خطورة المهاجرين. وهو ما أدي إلى ما يمكن وصفه بأنه "فوبيا المهاجرين" وما يترتب عليه من انتشار ظاهرة التمييز العنصري في هذه الدول.[١]

وتتمثل أكبر ملامح الصورة النمطية المغلوطة السائدة في اعتبار كون المهاجر هو مصدر للعنف والإرهاب والتطرف، بالإضافة إلى أنه:

- يؤمن بدين مخالف للدين المسيحي، فهو يمثل خطرا دينيا يتعين التوجس منه.
- يحمل مضامين ثقافية وأسلوبا من العادات والتقاليد التي لا تتوافق مع الثقافة الأوروبية.
- يمثل خطرا سكانيا، لارتفاع معدل مواليده، وانخفاض المواليد بين السكان الأوروبيين.

**المطلب السادس: أسباب سياسية ثقافية**

هل انقلب مفهوما "المقدس والمدنس" في أوروبا؟ يجيب "غازي التوبة" عن ذلك بالإيجاب. فقد اعتبرت الأديان السابقة على الإسلام من نصرانية ويهودية وغيرهما كثيراً من الأمور الفطرية دنساً مثل الدنيا والمرأة والشهوة، وعدَّت المقدس فقط هو الله والآخرة والروح. لكن أوروبا منذ القرن الثامن عشر ثارت على هذه الثنائية، إلى ثنائية أخرى لا تقل جهلا عن السابقة وتبنت منهجا معكوسا هو "تدنيس المقدس وتقديس المدنس".[٢] واتضح ذلك مع الفلسفات السياسية والثقافية من شيوعية واشتراكية ومادية ووجودية وعَلمانية (لا دينية).

عند النظر عن أسباب الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في أوروبا، سيجد المراقب أن هناك ميلا مستمرا لافتراض أن المعايير والقيم الغربية هي النقاط المرجعية الوحيدة واعتبارها غير متوافقة مع قيم بالإسلام. يركز هذا النهج على تحليل نقاط الصراع بين الإسلام والثقافة الغربية، ويتجاهل جميع أوجه التشابه. والاتجاه الآخر المضلل يتعلق بمقاربة كل التطورات في العالم الإسلامي باعتبارها إشارات للتدين المتطرف. وغني عن القول، أن تقديم الإسلام على أنه تهديد للعالم الغربي سيثير آثارًا سلبية في العلاقات بين الجماعات المعنية. وتستند هذه

(١) كريم، يوسف، المهاجرون المسلمون في أوروبا بين قضايا الهوية والإرهاب، **مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديموقراطي العربي**، العدد ٣ (يونيو ٢٠١٧): ٢٥٢-٢٦٥.

(٢) التوب، غازي، المقدس والمدنس" بين الإسلام والنصرانية، **مجلة البيان**، العدد ٢٩٨ (١٧ إبريل ٢٠١٢): ٨٢-٨٥.

المواقف على الصور النمطية والتحيز، وبالتالي شحذ التمايز بين "نحن" و"هم"، مما يؤدي إلى حلقة مفرغة في العلاقة بين العالم الغربي والإسلامي، وبين المسلمين وغير المسلمين بشكل عام.(١)

في أي بحث عن أصول هذا الموقف السلبي المسبب للعداء بين العالمين، يمكن العثور على أسباب لا حصر لها في الأدبيات، والتي يمكن تصنيفها تحت نماذج التفسير التالية: (٢)

(١) نموذج علاقة القوة المتغيرة: وهو يعنى بالحقب التاريخية ابتداء من التوسع الإسلامي، ثم الحروب الصليبية، ثم احتلال "استعمار" العالم الإسلامي. استخدم سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ وزحف الأتراك إلى قلب أوروبا، لإعادة تأكيد صورة العدو المسلم. وحاول علماء النصارى وضع حاجز ضد أي انجذاب للإسلام ربما يمارسه على النخبة الحاكمة، فنشأت النظرة المسيحية على فكرة أن الله سمح للشيطان بإنتاج هذا "الدين" الجديد الزائف من أجل إقناع المسيحيين، ومعاقبتهم على عصيانهم. وفي خلال الحقبة الاستعمارية، انتقلت مثل هذه التحيزات المتجذرة تاريخياً من خلال التعليم، خاصة من خلال الأطفال والكتب المدرسية حتى الآن.

(٢) نموذج صدام الحضارات والعدو الذي لا غنى عنه: ويستخدمه العلماء والسياسيون والصحفيون والاستراتيجيون لشرح الصورة السلبية للإسلام والمسلمين في العالم الغربي.

(٣) نموذج الإسلام السياسي: لا شك في أن أحد العوامل الرئيسة التي تؤثر سلبًا على صورة الإسلام والمسلمين في الغرب هو أعمال العنف التي يقوم بها أعضاء بعض الحركات السياسية الإسلامية المتطرفة.

(٤) نموذج الهجرة الإسلامية المتزايدة إلى العالم الغربي.

(1) W Shadid & P.S.van Koningsveld (eds), The Negative Image of Islam and Muslims in the West: Causes and Solutions, in *Religious Freedom and the Neutrality of the State: The Position of Islam in the European Union*. (Leuven- Belgium: Peeters, 2002), 174-177.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧٤- ١٩٦.

(٥) نموذج المعلومات السطحية: فعلى الرغم من أن التعليم والتنشئة الاجتماعية مهمان للغاية في نقل الصور النمطية والأحكام المسبقة بين الأجيال، فإن وسائل الإعلام تلعب دورًا أساسيا في إنشاء أشكال جديدة من التبسيط المخل، فيواجه الناس في الغرب يوميًا أخبارًا في التلفزيون والصحف يكون المسلمون والإسلام فيها موضوعات رئيسة. والطريقة التي تنقل بها وسائل الإعلام عن المسلمين والإسلام تترك الكثير مما هو إيجابي.

ثقافيا، يمكن أن نلخص مع الفراك[1] عوائق استثمار أسس المشترك الإنساني، إلى أمرين؛ العوائق الذاتية ويُقصد بها أزمة الفكر الإسلامي المنهجية والمعرفية، ثم العوائق الغيرية أي عوائق الفكر الغربي ونماذجه الفلسفية والعلمية والإعلامية المتحيزة. وأهمها عائق ادعاء التفرد من طرف الفلسفة الغربية في عمومها، مما يكرس استكبار العنصر الغربي على باقي عناصر الوجود الإنساني. ولكن مع إفلاس المرجعيات والأيديولوجيات، تظهر الحاجة المعرفية والأخلاقية لعلم القرآن الكريم وعمرانه ومنهاجه، فيكون المستقبل تمكين للدين الحق، في عالمية جديدة، عالمية رحمة وعدل.

(١) الفراك، أحمد، **المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني** (فرجينيا، الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإنساني، ط١، ٢٠٢١)، ص٣٤٤.

## النتائج

يمكن تلخيص الأسباب المحتملة للإساءة وللنظرة السلبية عن الإسلام في أوروبا فيما يلي:

١ . الإرث التاريخي المسيحي في أوروبا وما يحتمله من إساءة للإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

٢. الجهل بالإسلام وحقيقته. فالقوالب النمطية السلبية التي طبعت صورة الإسلام في الوعي الجمعي الغربي؛ إنما نشأت من خلال الجهل بالإسلام أساساً، وعبر سوء الفهم له.

٣. تقديم الإعلام صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين والإساءة لنبي الإسلام محمد صى الله عليه وسلم، مما ينمي موقف الرفض والحذر تجاههم من قِبل الرأي العام. وغالبية المجتمع الأوروبي يبني أحكامه المسبقة عن المسلمين من التليفزيون والصحف. وهذا الإعلام غالبا ما يخلط بين الهجرة والإجرام خاصة بالنسبة لذوي الأصول العربية والمسلمة. ويتناسى أن المسلمين البريطانيين هم من أهل البلد ولهم نفس حقوق المواطنة. ولازالت معظم وسائل الإعلام، خاصة الصحف الشعبية الرخيصة تعطي أحكاما وتصنيفات مسبقة حيث تلصق بهم تهم الإجرام والتطرف والإرهاب بطريقة روتينية عشوائية.

٤. التيار العنصري الذي يثير الكراهية، والخلط المتعمد بين ممارسة الإسلام والتطرف والغلوّ.

٥. استعمال بعض السياسيين في العديد من دول أوروبا، قضية الوجود الإسلامي في تلك المجتمعات، خصوصا في أجواء التنافس الانتخابي، كقضية مزايدة.

٦. التركيز على نقاط الصراع بين الإسلام والثقافة الغربية، للتأكيد ضمنيًا على تفوق الثقافة الغربية، واعتبار كل التطورات في العالم الإسلامي إشارات للتدين المتطرف.

٧. قيام قلة من المسلمين في أوروبا بأعمال منافية لأخلاق الإسلام وشرائعه، مثل الأعمال الإرهابية باسم الدين.

## التوصيات

١. معالجة التصور السلبي عن الإسلام في أوروبا تنطلق بعرض الإسلام على حقيقته الناصعة، وتجلية ما علق بالأذهان حوله من شبهات وأباطيل ومزاعم مفتراة أو ظنون متوهّمة، عن الإسلام والمسلمين والرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

٢. الدراسات الجديدة تثبت بطريقة مؤكدة أن غير المسلمين في أوروبا في حاجة ماسة إلى معرفة الإسلام من مصادر صحيحة. لا شك أن ذلك الأمر يحمّل المسلمين هنا عامة، والدعاة خاصة مسؤولية وأمانة عظيمة يجب القيام بها، لتبليغ حقائق الإسلام إلى من يجهلها أو يعاند في معرفتها والاقتناع بها.

٣. إن التشويه الإعلامي لصورة الإسلام والمسلمين يؤثر سلبا في معرفة الإسلام، وقد يصرف كثيرا من الناس والأجيال اللاحقة عن تقدير مكانتها والاستفادة من معطياتها، ولذلك فإن السعي الحثيث نحو تحسين الصورة بدعوة المسلمين للالتزام بدينهم ليكونوا قدوة ونموذجا مشرقا، يعد واجبا دينيا.

٤. تجديد الخطاب الديني الإسلامي ليتبنى الوسطية، مما يمنع المسلمين من الغلو أو التفريط، ويمنع غير المسلمين من الإساءة للإسلام، ويظهر التوحيد في الإسلام، وعدل الإسلام وسماحته وعفته.

٥. لابد من إيجاد وتفعيل إعلام إسلامي "مضاد" باللغات الأجنبية الذي يبين حقيقة الإسلام والمسلمين، كما يجب على المسلمين الدخول في تخصصات والصحافة والدراما والأدب، ومحاولة شق طريقهم داخل المؤسسات الإعلامية القائمة، بسيماهم وأسمائهم المسلمة، ليصبح وجودهم وتأثيرهم أمرا واقعا.

٦. بالنسبة للإسلاموفوبيا: يجب على منظمات المجتمع المدني إدخال محو الأمية الدينية كجزء من أي حملة واسعة النطاق للمساواة والتنوع، أو أي مبادرة سياسية. ويجب أن تصحح هيئات المساواة المعنية بالتحيز سوء التثقيف المنهجي حول الإسلام لشيوع

الجهل عن الإسلام في المجتمعات الأوروبية، مما يشكل عنصرًا مهمًا من أسباب التصور السلبي عن الإسلام.

٧. توصي الورقة بالاستمرار في السعي لإصدار قوانين تحمي حرمة الإسلام وثوابته، والقرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، من الإساءة، أسوة بقوانين حظر معاداة السامية وكراهية اليهود وإنكار المحرقة. واستمرار الضغط لإصدار قوانين تجرم ازدراء الأديان.

# المراجع

## المراجع العربية


١. أرمسترونج، كارين (١٩٩٨)، **سيرة النبي محمد**، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، (الطبعة الثانية)، القاهرة، شركة سطور.

٢. ألفا، روني إيلي (١٩٩٢)، **موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب**، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية.

٣. بدوي، عبدالرحمن (١٩٩٣)، **موسوعة المستشرقين**، (الطبعة الثالثة)، بيروت، دار العلم للملايين.

٤. ابن المبرد (١٩٩١)، **الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي**، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، (الطبعة الأولى)، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع.

٥. ابن فارس (١٩٧٩)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر.

٦. ابن كثير القرشي (١٩٩٩)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الطبعة الثانية)، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٧. ابن منظور (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، (الطبعة الثالثة)، بيروت، دار صادر.

٨. البوطي، محمد سعيد رمضان (٢٠٠٧)، **الإسلام والغرب**، دمشق، دار الفكر.

٩. التوب، غازي (٢٠١٢)، المقدس والمدنس بين الإسلام والنصرانية. **مجلة البيان**، العدد (٢٩٨).

١٠. جاء بالله، أحمد (٢٠٠٨)، الوسطية بين واجب المواطنة والحفاظ على الهوية. **المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث**، العدد (١٢-١٣).

١١. جورافسكي، أليسكي (١٩٩٦)، **الإسلام والمسيحية**، الكويت، عالم المعرفة.

١٢. ديردن، ليزي (٢٠٢٠)، اليمين المتطرف البريطاني صار أكثر عنصرية، **الإندبندت العربية**، ٢١ أغسطس.

١٣. الراغب الأصفهاني (٢٠٠٧)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبي اليزيد العجمي، القاهرة، دار السلام.

١٤. الزَّبيدي، مرتضى (د.ت)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، الكويت، دار الهداية.

١٥. سبوزيتو، جون (٢٠٠٢)، **التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟**، ترجمة: قاسم عبده قاسم، (الطبعة الأولى)، القاهرة، دار الشروق.

١٦. سعيد، إدوارد (٢٠٠٥)، **تغطية الإسلام: كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم**، ترجمة: محمد عناني، (الطبعة الأولى)، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع.

١٧. السماك، محمد (٢٠١٩)، **الفاتيكان والعلاقات مع الإسلام**، بيروت، دار النفائس.

١٨. سيلاجيتش، عدنان (٢٠١٦)، **مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام**، ترجمة: جمال الدين سيد محمد، (الطبعة الأولى)، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

١٩. الشمري، ماهر (٢٠١٩)، **النبي محمد في مؤلفات مونتجمري وات عن السيرة النبوية: دراسة تحليلية مقارنة**، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

٢٠. شيمل، آنا ماري (٢٠١٦)، **الشمس المنتصرة**، ترجمة: عيسى العاكوب، (الطبعة الأولى)، دمشق، دار التكوين.

٢١. عمارة، محمد (٢٠٠٦)، **الإسلام والغرب، افتراءات لها تاريخ– دراسة حول الإساءة الغربية الأخيرة للإسلام**، (الطبعة الأولى)، القاهرة، مركز الإعلام العربي.

٢٢. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (الطبعة الأولى)، عالم الكتب.

٢٣. عيد، ثابت (١٩٩٨)، **أنّاماري شيمل– نموذج مشرق للاستشراق**، القاهرة، دار الرشاد.

٢٤. عيسى، أحمد (٢٠٢١)، الاستشراق الجديد وإعلام الإسلاموفوبيا "بريطانيا نموذجا، **مجلة الجامعة الإسلامية بمنيسوتا بأمريكا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية المحكمة**، مجلد (٢)، العدد (٥).

٢٥. الفراك، أحمد (٢٠٢١)، **المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني**، (الطبعة الأولى)، فرجينيا، الولايات المتحدة، المعهد العالمي للفكر الإنساني.

٢٦. القاضي عياض (٢٠١٣)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عبده كوشك، (الطبعة الأولى)، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٢٧. القوصي، محمد عبد الشافي (٢٠١١)، سر العداء الغربي للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، **مجلة البيان**، العدد (٢٨٣).

**٢٨**. كريم، يوسف (٢٠١٧)، المهاجرون المسلمون في أوروبا بين قضايا الهوية والإرهاب، **مجلة العلوم السياسية والقانون، المركز الديموقراطي العربي**، العدد (٣).

٢٩. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٨٩)، **المعجم الوسيط**، (الطبعة الثانية)، استنبول، دار الدعوة.

٣٠. مجموعة مؤلفين من جامعات الجزائر (٢٠١٩)، **منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية**، (الطبعة الأولى)، برلين، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

٣١. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (٢٠١٩)، **قائمة الجماعات المتطرفة في بريطانيا ومراكز أنشطتها**.

٣٢. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (٢٠١٩)، **مكافحة الإرهاب في بريطانيا– تنامى مخاطر اليمين المتطرف.**

٣٣. مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، **د. جون أسبوزيتو**، كلية قطر للدراسات الإسلامية – جامعة حمد بن خليفة.https://www.cilecenter.org/ar/node/1129 استعرض بتاريخ ١٨-٧-٢٠٢٣.

٣٤. مزاحم، هيثم (٢٠١٧)، **مونتغومري وات والدراسات الإسلامية**، بيروت، جداول للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٥. المسيري، عبد الوهاب (٢٠٠٢)، **الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد**، (الطبعة الثانية)، القاهرة، دار الشروق.

٣٦. معيمش، عز الدين (٢٠١٨)، صورة الإسلام في المخيال المسيحي: نحو تجاوز مدونات المؤسسة الكنسية الكلاسيكية، **مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان**، مجلد (٧)، عدد (١).

٣٧. موقع أرشيف الفاتيكان، المجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥)، **في عصرنا– بيان حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية** من البابا بولس السادس، خادم خدّام الله، مع آباء المجمع المقدس.

٣٨. مومزن، كاتارينا (د.ت)، **جوته والعالم العربي**، ترجمة: عدنان عباس علي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون.

٣٩. هوفمان، مراد (١٩٩٧)، **الإسلام كبديل**، تعريب: عادل المعلم، (الطبعة الأولى)، القاهرة، دار الشروق.

٤٠. هيركومر، هوبرت (١٩٩٩)، **صورة الإسلام في التراث الغربي** (دراسات ألمانية)، ترجمة: ثابت عيد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر.

## المراجع الأجنبية


1. Al-Azami, Salman, Language of Islamophobia in Right-Wing British Newspapers, Journal of Media and Religion, 20:4, (2021):159-172.
2. Albaghli, Bashar. "Religiosity and prejudice in a Western and Islamic context" (PhD, University of St Andrews, 2017).
3. Ash, Timothy, 'Europe at War', *The New York Review* (20 December 2001): 66–68.
4. Awan, Imran, "Islamophobia on Social Media, A Qualitative Analysis of the Facebook's Walls of Hate," *International Journal of Cyber Criminology*, 10 (1) (2016): 1-20.
5. Aydin, Mahmut, Contemporary Christian evaluation of prophethood of Muhammad, In *Modern Western Christian Theological Understandings of Muslims Since the second Vatican council* (Washington: The council of research in values and philosophy, 2002).
6. Baker, P., Gabrielatos, C. and McEnery, A. *Discourse Analysis and Media Attitudes: The representation of Islam in the British press 1998-2009* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013).
7. Becker, A. "Urban II." Encyclopedia Britannica, July 25, 2022. https://www.britannica.com/biography/Urban-II
8. Belloc Hilaire, The Crusades: the World's Debate, Bruce Publishing Company, 1937.
9. Bertram, Vidgen. "Tweeting Islamophobia" (PhD, University of Oxford, 2019).
10. Bjorgo, Tore, 'Extreme Nationalism and Violent Discourses in Scandinavia', in Bjorgo (ed), *Terror from the Far Right* (London: Frank Cass, 1995), 191.

11. Bleich, Erik and A. Maurits van der Veen, Covering Muslims: American Newspapers in Comparative Perspective 1996 to 2016, (Oxford University Press, 2022).
12. Bouwsma, W. J. "John Calvin." Encyclopedia Britannica, July 6, 2023. https://www.britannica.com/biography/John-Calvin
13. Britannica, T. Editors of Encyclopaedia. "St. John of Damascus." Encyclopedia Britannica, November 30, 2022. https://www.britannica.com/biography/Saint-John-of-Damascus.
14. Chenu, M. "St. Thomas Aquinas." Encyclopedia Britannica, June 21, 2023. https://www.britannica.com/biography/Saint-Thomas-Aquinas.
15. Cook, Joana and Gina Vale, *From Daesh to 'Diaspora': Tracing the Women and Minors of Islamic State* (London: ICSR King's College London، 2018).
16. Corbin, A. M., Terrorists are always Muslim but never white: At the intersection of critical race theory and propaganda. Fordham Law Review, 26(2), (2017): 455–485.
17. European Union Agency for Fundamental Rights, 2017, "Second European Union Minorities and Discrimination Survey Muslims – Selected findings" (Luxembourg: Publications Office of the European Union, 2017), 9.
18. Gaudeul, Jean-Marie, *Encounters & clashes: Islam and Christianity in history* (Rome: Pontificio Istituto di Studi Arabi e Islamici, 1984).
19. Ipsos MORI, *A review of survey research on Muslims in Great Britain* (London: Ipsos MORI Social Research Institute, February 2018).
20. Jones, Stephen, *The Dinner Table Prejudice: Islamophobia in Contemporary Britain*, (Birmingham: The University of Birmingham, 2022).

21. Mudde, Cas, "Right-wing extremism analyzed. A comparative analysis of the ideologies of three alleged right-wing extremist parties," *European Journal of Political Research*, 27:2, (1995): 203–24.
22. Mudde, Cas, *The Ideology of the Extreme Right* (Manchester: Manchester University Press, 2002).
23. Pew Research Center, European public opinion three decades after the fall of communism, Minority groups, 14 October 2019. https://www.pewresearch.org/global/2019/10/14/minority-groups/
24. Pew Research Center, Majorities say they know not too much, or nothing at all about Islam, Judaism, https://www.pewresearch.org/religion/2018/05/29/nationalism-immigration-and-minorities/pf_05-29-18_religion-western-europe-01-08/ 23 May 2018.
25. Populus, Hope Not Hate Survey, 4,015 GB adults aged 18+ years, interviewed 1-8 February 2016، https://yonderconsulting.com/poll/hope-not-hate-survey/
26. Quinones, R. J. "Dante." Encyclopedia Britannica, June 23, 2023. https://www.britannica.com/biography/Dante-Alighieri.
27. Robert of Rheims, account of Urban II's speech at Clermont, taken from L. and J.S.C. Riley-Smith, *The Crusades: Idea and Reality,* 1095-1274 (London, 1981), pp. 42-45.
28. Said, Edward, *Orientalism: Western Conceptions of the Orient* (London: Penguin Modern Classics, 2003).
29. Shadid W & P.S.van Koningsveld (eds), The Negative Image of Islam and Muslims in the West: Causes and Solutions, in *Religious Freedom and the Neutrality of the State: The Position of Islam in the European Union*. (Leuven- Belgium: Peeters, 2002).

30. Siddique, Haroon, "Three-quarters of non-Muslims have negative view of Islam," *The Guardian*, 2 August 2010.
31. Storm, Ingrid. "Secular Christianity as National Identity: Religion, Nationality and Attitudes to Immigration in Western Europe" (PhD, University of Manchester, 2011).
32. Stubbe Henry. An account of the rise and progress of Mahometanism: with the life of Mahomet and a vindication of him and his religion from the calumnies of the Christians, edited by Mahmud Khan Shairani, London, Luzac and Co, 1911. https://wellcomecollection.org/works/hb5778bc/items?canvas=9
33. Sumpter C & J Franco, "Migration, Transnational Crime and Terrorism: Exploring the Nexus in Europe and Southeast Asia." *Perspectives on Terrorism* 12, 5 (October 2018): 36-50.
34. Tolan, John. *Faces of Muhammad: Western Perceptions of the Prophet of Islam from the Middle Ages to Today* (Princeton: Princeton University Press, 2019).
35. Watt, Montgomery. *Muhammad At Medina* (Oxford, The Clarendon Press: 1956).
36. Watt, Montgomery, *Religious Truth for Our Time* (Oxford: Oneworld Academic, 1995).
**37.** YouGov, Exploring Islam Foundation, Survey Results, 2010, http://cdn.yougov.com/today_uk_import/YG-Archives-Pol-ApexCommunicationsExploringIslamFoundation2-100520.pdf